

الفتح الصلاحي لبيت المقدس في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي (583هـ / 1187م)

جامعة الملك فيصل - الأحساء
المملكة العربية السعودية

د. نوال بنت فرحان بن محمد الخالد

مستخلص :

تختزل فكرة البحث الحديث عن خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي عام (583هـ / 1187م) في وجدان مؤرخي المغرب والأندلس ، وكيف دونوا هذا الخبر في ثنايا رواياتهم بالأخص تلك المصادر التي خصصت لتاريخ المغرب والأندلس لا سواهما كابن عذاري وصاحب الحلل الموشية ، وتأثير الأوضاع السياسية على كتابتهم ، وإلى أي مدى انطبعت ميولهم السياسية والإقليمية بما استجد من أحداث على تدوين حدث الفتح ، وأن هناك ثلة من المؤرخين حاولوا الابتعاد عن تأثير الساسة وعبروا بفرحة عارمة عن الخبر بل وأجادوا بالأشعار مدحاً وتنأء على قائد الفتح صلاح الدين الأيوبي. وتظهر أهمية الموضوع في تتبع مدى اهتمام مؤرخي الغرب الإسلامي بالأحداث الكبرى في المشرق وتأثرهم بها، وبيان مدى التلاحم والترابط الديني بين جناحي العالم الإسلامي، وما للظروف السياسية من تبعات فكرية على المصنفات التاريخية وكتّابها. وتهدف الدراسة إلى استقصاء طريقة عرض مؤرخي الغرب الإسلامي لخبر فتح بيت المقدس وآرائهم الفكرية، واختلاف العصور في العبارات التي وصف بها صلاح الدين قائد الفتح، وعلاقاته مع الموحدين ، وسوف تعتمد الدراسة على منهج الوصف والتحليل والمقارنة؛ لفهم ظروف الحياة السياسية، ومدى تأثيرها في كتابات المؤرخين. ومن نتائج الدراسة أن اتضح محاولات صلاح الدين لرأب الصدع في العلاقات بينه وبين الخليفة المنصور الموحي ولكنّها لم تنجح ولم يستطع صلاح الدين الحصول منها على مراده ، وكشفت الدراسة أن من نتائج الفتح عودة الرحلات والهجرات المغربية والأندلسية بكثرة إلى بيت المقدس.

الكلمات المفتاحية: الأندلس ، المغرب ، مؤرخون ، صلاح الدين ، بيت المقدس، نوال الخالدي.

Abstract:

The idea of modern research on the news of the conquest of Jerusalem by Salah al-Din al-Ayyubi in (583 AH / 1187 AD) is reduced to the conscience of the historians of Morocco and Andalusia, and how they wrote this news in the folds of their narrations, especially those sources that were devoted to the history of Morocco and Andalusia, only to them, such as Ibn Adhari and the owner of the clothes, and the effect of The political situation on their writing, and to what extent their political and regional inclinations were affected by the recent events on the recording of the conquest event, and that there are a group of historians who tried to stay away from the influence of politicians and expressed with great joy about the news and even excelled in poetry praising and denouncing the leader of the conquest, Salah al-Din al-Ayyubi. The importance of the topic appears in tracing the extent to which historians of the Islamic West are interested in and affected by major events in the East, and to show the extent of religious cohesion and interdependence between the two wings of the Islamic world, and the intellectual consequences of political conditions on historical works and their writers. The study aims to investigate the way the historians of the Islamic West presented the news of the conquest of Jerusalem and their intellectual views, and the different eras in the phrases in which Salah al-Din described the conquest leader, and his relations with the Almohads. The study will depend on the method of description, analysis and comparison; To understand the conditions of political life, and their impact on the writings of historians. Among the results of the study, it became clear that Saladin's attempts to heal the rift in the relations between him and the Al-Mansur Almohad Caliph, but they did not succeed and Salah al-Din was not able to obtain from them what he wanted.

Keywords: Andalusia - Morocco - Historians - Salah al-Din - Jerusalem -Nawal Al-Khalidi

مقدمة:

اقتترنت قدسية مدينة القدس بالعقيدة الإسلامية منذ أن أسرى الله -جل وعلا- نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، وجعله قبلة المسلمين الأولى، وحتى بعد تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة احتفظ المسجد الأقصى بمكانته الخاصة في نفوس المسلمين، بل في صميم عقيدتهم؛ لكونه أرض الإسراء والمعراج المعجزة التي اختص بها الله رسولنا صلى الله عليه وسلم، ووثقها المولى في كتابه الكريم قرآنًا يتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى قيام الساعة، فحظي مسرى الرسول ومهد الأديان بالمباركة الربانية، والوصاية المحمدية ألا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، وثالثها الأقصى المبارك؛ فحسنت مسؤولية القدس الشريف ورعايته للمسلمين، وتجلد ذلك في الفتح العمري عام (15هـ/636م) لبلاد الشام، واستمرت القدس ترفل في عز المسلمين ومجدهم حتى ضعفت الخلافة العباسية عن حماية أراضيها، فتوالت عليها الملمات والنكبات، وبلّيت الشام بغزوات الحملات الصليبية قرنين من الزمن بدءاً من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلى الثلث الأخير من السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي سقطت خلالها القدس أسيرة تحت براثن الصليبيين قرابة تسعين عاماً حتى قيّض الله السلطان صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب (-567/589هـ / 1174-1193م) وأعاد بيت المقدس إلى حياض المسلمين بعد موقعة حطين عام (583هـ / 1187م)، والحدث ذائع الصيت وأشهر من نار على علم، فقد تغنّب المصادر المشرقية، وأسهبتي تفاصيله، وعدّت حطين معركة النصر الفاصلة، وأطلق عليها مفتاح الفتوح الإسلامية، وبداية النهاية للوجود الصليبي في الشام، والبحث يهدف إلى استكشاف وقع خبر استرداد بيت المقدس على أهل المغرب والأندلس، وكيف عبر مؤرخو الغرب الإسلامي عن هذا النصر لأولى القبلتين، في الوقت الذي تعاني فيه الأندلس من هجمات الممالك الإسبانية الصليبية، ومؤازرة العدو المغربية لها في التصدي لهذا الخطر، وحسبنا عن عمق الرابطة الدينية والحضارية بين جناحي العالم الإسلامي في المشرق والمغرب ومتانتها، ولكن الساحة السياسية آنذاك كانت تشهد خلافاً وتوتراً بين الموحدين السلطة في المغرب والأندلس، وبين الخلافة العباسية التي كانت الدولة الأيوبية تدين لها بالولاء والشرعية، وبذلك انعكس صدى الأزمات بينهما على العلاقة بين الموحدين والأيوبيين، فيرمي البحث أيضاً إلى استقصاء موقف الموحدين من السلطان صلاح الدين الأيوبي وانتصاره على الصليبيين وفتح القدس، واستجلاء سياق سير العلاقة بين الطرفين، وكيف أدي صلاح الدين دوراً في محاولة منه بالنأي بنفسه عن التوتر بين الموحدين والخلافة

العباسية والتقرب من الموحدين والظفر بثقتهم؛ للحصول على دعمهم ضد أي حملة صليبية.

وقبل الاسترسال في استطلاع الخبر في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي، وما اتصل به من أحداث؛ يجدر بنا أن نبين معاني المصطلحات التي استخدموها في أثناء تأريخهم لهذا الفتح؛ كبيت المقدس، والقدس، والمسجد الأقصى، حتى يُزال اللبس القائم في بعض الأذهان بين هذه المصطلحات، ونوضح مدلولاتها. نستهل بالتعريف بجغرافية المدينة وبأسماؤها كـ (بيت المقدس) و (المسجد الأقصى) لأن استعماله غلب في المصادر المغربية والأندلسية.

جغرافية بيت المقدس:

تقع مدينة (القدس) تقع على فضاء من الأرض وسط جبال تحيط بها، وأرضها حجارة (مرصوفة بالأحجار) مأخوذة من الجبال التي هي عليها، وكان فيها الكثير من الأسواق والعمارات الحسنة، وضياها وقراها كلها جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض واطئة، والناس تزرع فيها على الجبال مستخدمين الفؤوس لا الدواب في الحرث⁽¹⁾.

التعريف بتاريخ المدينة:

نستهل بالتعريف بـ (بيت المقدس) و (المسجد الأقصى) لأن استعماله غلب في المصادر المغربية والأندلسية.

بيت المقدس: أطلقت الأحاديث النبوية الشريفة العنان في ذكر مصطلح بيت المقدس، ففي حادثة الإسراء المعراج روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»⁽²⁾، وحديث آخر وردت فيه تسمية بيت المقدس؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: «أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عرج بي إلى السماء»⁽³⁾، ولما سألت أم المؤمنين ميمونة - رضي الله عنها - قالت: «أفتنا يا نبي الله في بيت المقدس» فقال صلى الله عليه وسلم: «أرض المحشر والمنشر...» الحديث⁽⁴⁾، والأحاديث جُلها تعني ببيت المقدس (المسجد الأقصى)، ووردت تسميته في أحاديث صحيحة مستفيضة، منها حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - أنه ثاني مسجد وضع في الأرض قال: «قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة...» الحديث⁽⁵⁾، وفي حديث متفق عليه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي

هذا، والمسجد الأقصى»⁽⁶⁾، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أהלّ من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بعمره وبجدة غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽⁷⁾.

يقع بيت المقدس أو المسجد الأقصى في الجهة الشرقية من المدينة، نحو القبلة، ويعود بناؤه إلى الأنبياء، وقيل: أول من وضع أساسه هو النبي داود عليه السلام، كما ضم قبة الصخرة المشرفة، وهي توجد في وسط مصطبة المسجد الأقصى، وهي قبة عظيمة ثمانية الشكل، وفي وسط هذه القبة الصخرة المشرفة، ويوجد على طرفها آثار أقدام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفي أسفل القبة مغارة تتسع لعدد كبير من الناس، يدخل إليها عن طريق درج موصول بها، وللقبة أربعة أبواب، وفيها العديد من القباب الأخرى؛ مثل قبة السلسلة، وقبة النبي عليه الصلاة والسلام، وقبة المعراج، ويقع أسفل ركن المسجد الأقصى حائط مقدس وهو الذي ربط الرسول صلى الله عليه وسلم ناقته البراق فيه، وسمي باسمها حائط البراق⁽⁸⁾. ودرج استخدام مصطلح (القدس) في بعض المصادر؛ وهو اسم للمدينة التي يقع فيها بيت المقدس أو المسجد الأقصى، وقد أطلقه الكنعانيون على عاصمتهم (يبوس) وذلك عندما آمن أحد ملوكهم وهو (ملكي صادق) بدعوة التوحيد التي دعاه بها إبراهيم عليه السلام، لما أقام فيها ورزق إسماعيل عليه السلام من هاجر نحو عام (1800 ق.م)، وتبعه قومه من الكنعانيين، كان ذلك قبل استيلاء النبي داود عليه السلام بقرابة ألف عام، فتشرفت بإبراهيم ودخول داود من بعده عليهما السلام، وسكن ثلثة من الأنبياء فيها فزادت قداسة وتعظيمًا⁽⁹⁾، فقد قال تعالى في كتابه الحكيم عنها على لسان موسى عليه السلام: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}⁽¹⁰⁾.

عُد بيت المقدس أقدم مدينة سكنت منذ العصر الحجري الأول؛ إذ أسست قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، على يد العرب الكنعانيين، وهم أبناء كنعان بن حام بن نوح الذين هاجروا من جزيرتهم العربية بقيادة زعيمهم سالم اليبوسي، وبعدهم سكن فيها اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب الكنعانيين، فسميت نسبة لهم (يبوس)، وسموها أيضًا (أورسالم)، وقيل: هو سالم إله السلام الكنعاني، وقيل: يقصد بها مدينة السلام، وهزم اليبوسيون أمام جيش داود عليه السلام حوالي عام (1000 ق.م) فسكن اليهود بجانب اليبوسيون فيها مدة من الزمن⁽¹¹⁾، ومن اللافت للانتباه أن كلمة (أورسالم أو أورشليم) ليست كلمة عبرية كما يجول في الأذهان، وإنما عربية سميت بها المدينة من قبل أهلها العرب قبل دخول اليهود إليها، فعرفت بيت المقدس بأسمائها الأخرى؛ مثل مدينة (يبوس) و(أورسالم) و(إيلياء)⁽¹²⁾.

ورود الخبر في المصادر المغربية والأندلسية:

ورد فتح بيت المقدس في المصادر المغربية والأندلسية، وسياق الخبر يركز على استرداد المسجد الأقصى وإعادته إلى المسلمين، وتباين عرض الرواية في المصادر من حيث الإيجاز والإطناب، والاقتباس من المصادر المشرقية أو التفرد عن تأثيرها وميول مؤرخيها السياسي، خصوصاً لدى المؤرخين المغاربة والأندلسيين الذين عاصروا وقائع الحدث ودونوه في كتبهم، وفي الأسطر الآتية تفصيلٌ لذلك.

يمكن تقسيم مؤرخي الغرب الإسلامي قسمين؛ الأول المعاصرون للدولة الموحدية (-514 674هـ / -1120 1275م)، والثاني الذين عاشوا بعدها وأرخوا لحدث فتح بيت المقدس، كما أن القسم الأول من المؤرخين أيضاً يمكن تصنيفهم إلى فئتين؛ فالفئة الأولى تتكون هما كُتّاب الخلفاء الموحدين ومؤرخوهم مثل ابن صاحب الصلاة (ت 594هـ / 1198م) مصنف كتاب (المن بالإمامة)، وابن القطان (ت 670هـ / 1325م) مؤرخ كتاب (نظم الجمان وترتيب ما سلف من أخبار الزمان)، وعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ / 1249م) صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب)، وهؤلاء جميعهم ليسوا كُتّاباً فحسب، بل من المقربين للبلاط الموحيدي، ووصفوا بمصانعة الموحدين والولاء لهم والتأثر بعقائدهم⁽¹³⁾، ومن الجلي أن الميول السياسية ومجاملتهم للخليفة الموحيدي المنصور أبي يوسف يعقوب (580هـ - 595هـ / 1184-1199م) غلبت على أقلامهم وما يسجلون، فابتعدت فيما يبدو عن التجرد من الأهواء، وهذا ما جعلهم يحجمون عن ذكر حدث عظيم في تاريخ المسلمين كاسترداد بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين، ولعل قارئاً يقول إن سبب عدم التطرق إلى فتح القدس أن كتب هؤلاء المؤرخين خصصت لتاريخ بلاد المغرب والأندلس، لكننا وجدنا نظراء لها في المصادر المغربية والأندلسية ككتابي (الحلل الموشية) و(البيان المغرب) ذكرنا الحدث بأساليب متباينة، تارة بالاستطراد، وتارة في أثناء تحليل الحوادث الأندلسية وربطها بالمشرقية، فضلاً عن ابن القطان الذي ألمح إلى أخبار في مصر والعراق ليست ذات أهمية؛ كاستبداد ابن الأفضل بالوزارة سنة (524هـ / 1130م) ومقتله وتولية الأسقف النصراني مكانه في العصر الفاطمي⁽¹⁴⁾، فلا تصل إلى مستوى أهمية الفتح الصلاحي.

أما الفئة الثانية فتتمثل في أولئك الذين عاشوا في ظل دولة الموحدين، وامتدت حياتهم إلى الدول التي حكمت بعدها، ومن هؤلاء المؤرخين ابن عذاري (ت بعد 712هـ / 1312م) وصاحب (الحلل الموشية) اللذان أرخا للموقعة بعبارات انتقائية، فكلٌ يمم شطره نحو مبدئه، أما القسم الثاني فيشكله مؤرخو

منتصف القرن السابع الهجري / منتصف الثالث عشر الميلادي، ومن أرخ بعدهم لبلاد الأندلس إلى سقوطها، وعاش بعضهم بعد سقوط الدولة الموحدية، وشهدوا عصوراً مختلفة عن عصرها في المغرب والأندلس؛ كالرحالة الأندلسيين وابن خلدون وابن الخطيب. وما دام الفئة الأولى من مؤرخي الموحدين - كما أشرنا إلى شأنهم - فيكون الاستقرار لكتب الفئة الثانية من القسم الأول ومن بعدهم الفئة الثانية حسب التسلسل الزمني لوفيات المؤرخين، وفي مقدمة الفئة الثانية ابن عذاري (ت بعد 712هـ / 1312م) الذي ألح في مصنفه (البيان المغرب) لمحة سريعة إلى استرداد بيت المقدس وإعادةه إلى المسلمين على يد صلاح الدين الأيوبي، ورغم أنها - كما أسلفنا - لمحة سريعة لكنها لم تخل من مضامين اعتزازه بنصر المسلمين على الصليبيين، جاء ذلك في أثناء حديثه عن تغلب (ابن الرنك الإسباني) على قاعدة شلب⁽¹⁵⁾ في الأندلس عام (585هـ / 1189م) وإخراجه أهلها منها بعد سنتين من موقعة حطين - قبل أن يتمكن الأمير الموحي المنصور من فتحها مرة أخرى وإعادةها إلى المسلمين -، فقد وافق آنذاك وصول عدد من القراقرير الرومية⁽¹⁶⁾ مجتازين إلى بيت المقدس منذ فتحها من أهل ملتهم في الشام، فيأتون إلى بلاد المسلمين على عادتهم كل سنة حتى يزيلوا عن أعناقهم بزعمهم عار الهزيمة، ويوفوا بعهود قطعوها على أنفسهم أمام رهبانهم على حد تعبير ابن عذاري، وفي المغرب الإسلامي لم يجد ابن الرنك إلا مدينة شلب في الأندلس فاستولى عليها، وأشرف أهلها على الموت بسبب الجوع والظمأ بعدما واجهوا شدة الحصار للانتقام من نصر المسلمين شرقاً في حطين⁽¹⁷⁾. وتبين من استقرار مؤرخنا أمران؛ الأول أن ابن عذاري لم يصرح باسم صلاح الدين الأيوبي أو يثني عليه، لكن ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى قوته في استرجاعه القدس في عبارات تشي بذلك؛ كقوله: (مذا انتزاع بيت المقدس من أهل ديانتهم بحد الحسام) والانتزاع في اللغة هو أخذ الشيء بالقوة⁽¹⁸⁾، والثاني أنه ظهر لابن عذاري رؤية سعى من خلالها لتجسد عمق الصلات الدينية بين المشرق والمغرب، وهذا ما اقتضى اقتسامهم للعدوان والأخطار، فافترض بأن هزيمة الصليبيين في الشام سبب لانتقامهم من الأندلس واستغلالهم لأحوالها السياسية والعسكرية⁽¹⁹⁾، وثمة ملحوظة على تحليل ابن عذاري أنه من قلائل المؤرخين المشاركة والمغاربة الذي ربطوا بين الوقائع التاريخية في الأقاليم الإسلامية المختلفة؛ كالفتح الصلاحي من جهة وحادثة ابن الرنك أو غيرها من الاعتداءات النصرانية الإسبانية على الأندلس من جهة أخرى؛ كتحرك الصليبيين أو من كان على ملتهم في أوروبا صوب الأندلس والمغرب للانتقام من أهلها. ومورد ابن عذاري في حادثة ابن

الرنك هو كتاب (تاريخ الموحدين) للكاتب الموحيدي أبي الحجاج يوسف بن عمر⁽²⁰⁾، أما عن مصدره لخبر فتح بيت المقدس فلم يعرف؛ لأن كتاب ابن عمر مفقود، ولم يوجد منه إلا روايات مبنوثة في المصادر التي استقت منه، جمعها أحد الباحثين ولم نعثر من بينها على روايات أو نصوص لمعركة حطين وفتح بيت المقدس⁽²¹⁾، ولا يعرف هل استطرد بخبر فتح بيت المقدس وعلى غرار سار ابن عذاري، أم أن الأخير هو الذي عمد إلى تطعيم أسلوبه بالاستطراد بقصد التطرق لفتح بيت المقدس وأنه لم يكن استطراداً عفواً الخاطر؟ كما أننا لا نعتقد أن أبا الحجاج أورد الخبر البتة؛ لأنه معدود من مؤرخي خلفاء الموحدين المقربين منهم⁽²²⁾ والذين أحجم كثير منهم عن ذكر الخبر كما أشرنا آنفاً. وشاطر مؤلف (الحلل الموشية) منهج ابن عذاري بذكر الخبر مستطرداً أيضاً، ففي معرض حديثه عن الجواز الرابع للأمر المراتبي علي بن يوسف بن تاشفين (537-500هـ / 1083-1143م) إلى الأندلس عرج إلى عهد الخليفة العباسي العباس أحمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدي (487 - 512هـ / 1094 - 1118م)؛ إذ استحوذ الروم على بيت المقدس وبعض بلاد الشام، ومكث في أيديهم إحدى وتسعين سنة على حد قوله⁽²³⁾ في إشارة إلى بداية الحملة الصليبية الأولى عام (492هـ / 1099م) التي على إثرها احتل الصليبيون القدس⁽²⁴⁾، وأضاف أنه حُرّر واستخلص منهم في عصر الخليفة العباسي الناصر لدين بالله أبي العباس أحمد بن المستضيء (575 - 622هـ / 1180 - 1225م) على يد عامله على مصر صلاح الدين (567 - 589هـ / 1171 - 1193م) وذلك عام (583هـ / 1187م)، ومن الملاحظ رغم أنه لم يسم الحملة الصليبية التي كانت على الشام، ولا موقعة حطين التي استرد فيها المسلمون بيت القدس ولا أي تفاصيل أخرى⁽²⁵⁾، لكن هذه العجالة تشي بأن المسجد الأقصى والقدس في فكر المؤرخ المغربي ووجدانه، فلم يتجاهل ذكر الحدث الجلل والمعاصر لدولة الموحدية التي يدون تاريخها في كتابه، فأوجز أخباره من تعرضه للاحتلال الصليبي إلى تحريره في حطين في أثناء إيراده خبراً للدولة المراتبية، وليس في تدوينه لأحداث الدولة الموحدية المعاصرة لفتح القدس، بعبارات تاريخية حذره من إبداء أي احتفاء بالنصر أو إطراء قائده مع تعمّد الحيادية والتجرد، وتجنب سرد رواية موقعة حطين وأي تبعات وأثر في المغرب الإسلامي له، وربما يسوّغ ذلك ميل بعض المؤرخين المعاصرين إلى الموحدين سياسياً ومجاملتهم؛ مراعاة لتوتر العلاقات بين الموحدين والأيوبيين.

لكن الرحالة ابن جبير خالف معاصريه، فوقف في رحلته الأولى التي بدأت عام (579هـ / 1183م) وامتدت إلى (581هـ / 1185م) مثنيًا على عدل

السلطان صلاح الدين وفضله في محو المكوس التي فرضها الفاطميون على الحجاج، والتي كانت تجبى منهم ويُضطهدون بسببها، ناهيك بأنها تثقل كواهلهم، وينكلون في سبيل دفعها، وأما الذين لا يدفعون الضريبة في عيذاب⁽²⁶⁾ وتصل أسماؤهم إلى جدة (غير معلم عليها علامة الأداء) فكانوا يلقون فيها أضعاف العذاب، فأبطل صلاح الدين هذه المكوس، واستبدل بها ما كان يرسله من الأموال سنوياً والتي تبلغ ألف دينار وألفين إردب⁽²⁷⁾ من القمح، وثمانمائة قفيز⁽²⁸⁾ غير الإقطاعات التي أقطعها بصعيد مصر واليمن لأمير مكة مكثّر بن عيسى⁽²⁹⁾ لتكون عوضاً عن الغرامات المجحفة في حق الحجاج باستحلال دمائهم وأموالهم⁽³⁰⁾. ومن الجلي أن رحالتنا الأندلسي كان معجباً بشخصية صلاح الدين، فقد دَبَّج فصلاً لذكر سيرته وعدله، وأطنب بتعداد مآثره الماثورة في الدنيا والدين على حد تعبيره، ومثابرتة على جهاد أعداء الله من الصليبيين؛ لأنه -وفقاً لرؤية ابن جبير- ليس إمام البلدة -يعني مصر والشام- بل بلد الإسلام، فهو رحمة من الله للمسلمين، فلا يأوي لراحة ولا يخلد إلى دعة، فليس من ملوك المسلمين أحد مثله⁽³¹⁾. كل هذا قبل قيام صلاح الدين بفتح بيت المقدس، وما إن شاع خبر استرداد القدس من قبل السلطان الأيوبي سنة (583هـ / 1187م) حتى شد الرحال مرة ثانية عام (585هـ / 1189م) إلى المشرق دافعه زيارة بيت المقدس بعد تحريره⁽³²⁾، وبما أن الخبر أوقد وجدانه، وتجشم من أجله عناء الطريق؛ فمن المؤكد أنه أطر صلاح الدين بوابل من الإطراء، وتغنى بالفتح، ودون ذلك في رحلته الثانية، ولكنها لم تصل إلينا، فهي ضمن الجزء المفقود من كتابه (تذكرة الأخبار). وتفصح المصادر عن أن لابن جبير ميولاً أو تأييداً للموحدين، ولا أدل على ذلك من أبياته الشعرية التي فاضت بها قريحته مثنيًا على الخليفة الموحي المنصور أبي يوسف يعقوب (580هـ - 595هـ / 1184-1199م) قبل رحلته الثانية إلى المشرق؛ لحمايته الدين في إشارة إلى دوره في صد الخطر الإسباني النصراني عن الأندلس؛ إذ قال:

بلغت أمير المؤمنين مدى المنى	لأنك قد بلغتنا ما نؤملُ
قصدت إلى الإسلام تعالى مناره	ومقصودك الأسنى لدى الله يقبلُ
تداركت دين الله في أخذ فرقة	بمنطقهم كان البلاء الموكلُ
وفي قصيدة أخرى قال:	
خليفة الله دم للدين تحرسه	من العدا وتقيه شر كل فئة
فاله يجعل علماً من خلائقه	مظهرًا دينه في رأس كل مائة ⁽³³⁾
فالله يجعل عدلاً من خلائقه	ولعل ما يجمع بين

تأييده لكلا الرجلين صلاح الدين والمنصور الموحدى هو فكر ابن جبير الذي يدور في فلك الدفاع عن الدين وحماية أراضيه، والصفة موجودة في كليهما؛ لذا ففي أشعاره امتدح فيهما البطولة والعدل والنصر على الأعداء، ورأهما مفخرة من مفاخر الإسلام. وإذا ما أمعنا النظر في سيرة ابن جبير فإننا نحصل على صور تقربنا من سبب ثنائه المعلن على صلاح الدين دونما غضاضة من سلطة أو انتماء؛ فالصورة الأولى أن ابن جبير كان محايداً في تسجيل أحداث عصره رغم ميوله الوطنية الى دولة الموحدين⁽³⁴⁾، والصورة الأخرى أنه لم يكن من مؤرخي البلاط، وليست له غاية التزلف للخلفاء، على عكس بعض معاصريه كابن صاحب الصلاة (ت 594هـ / 1198م) مصنف كتاب (المن بالإمامة)، وابن القطان (ت 670هـ / 1325م) مؤرخ كتاب (نظم الجمان وترتيب ما سلف من أخبار الزمان)، وعبدالواحد المراكشي (ت 647هـ / 1249م) صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب)؛ إذ يحبر (أحد الباحثين) أن هؤلاء اهتمت كتابتهم برسم صورة تاريخية عن الدولة الموحدية بهدف تقديمها بواقع يختلف عن واقعها الحقيقي، ويتمشى مع سياسة حكامها، ونهج ابن تومرت⁽³⁵⁾. وتجلي التلاحم بين المسلمين في المشرق والمغرب ضد الصليبيين والنصارى الإسبان في أبهى صورة عرضها ابن جبير عندما استحضر قول: «الإفرنج: إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالمهم ولا نزرأهم شيئاً، فلما تعرضوا لحربنا وتألّبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم»، وأورد السبب في ذلك أن طائفة من المقاتلين المغاربة اشتركت مع المسلمين في الشام في فتح أحد الحصون الصليبية، وكانوا رأس حربة في الفتح، وفيما يبدو أن الصليبيين استأؤوا من قدوم المغاربة من بعيد ومشاركة المسلمين في قتالهم، فجازوهم بضريبة خاصة قدرها دينار على كل شخص⁽³⁶⁾، ولم تكن الحماسة الجهادية، وشعور حب التضحية، والدفاع عن المقدسات، غريباً عن اللحمة الإسلامية بين أهل المشرق والمغرب. ظلت الأهمية الدينية والتاريخية لمعركة حطين في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي ومفكره حتى مع تقادم الزمن وطول العهد من الفتح، فأبدى بعض مؤرخي المغرب والأندلس بهجتهم بنصر حطين في لهجة تنم عن افتخار واعتزاز باسترداد بيت المقدس والمسجد الأقصى، منهم الرحالة ابن بطوطة، ففي عرض مقتضب (ت 779هـ / 1337م) خُصص للحدث لم يخلُ من تكريم وأبهة لشخص صلاح الدين الذي نعتة بالفاضل والقائد المجاهد

المقدام الذي خدم الإسلام، ودعا له بأن يجزيه الله عن الإسلام خيرًا، ثم ضمن الخبر برواية تشير إلى أن السلطان الأيوبي قام بهدم جزء من أسوار المدينة خشية من غزو الصليبيين مرة أخرى فيتحصنوا به⁽³⁷⁾، لكن ابن بطوطة فيما يبدو وقع في لبس تاريخي؛ فمصادر تاريخ الدولة الأيوبية (567 - 648 هـ / 1169 - 1250 م) بل المؤرخون المعاصرون لها أجمعوا أن السلطان صلاح الدين قد قام ببناء ما تهدم من سور بيت المقدس جراء ضربه بالمجانيق إبان معركة فتحه حتى لا تتعرض المدينة لمهاجمة الصليبيين مرة أخرى، كما حفر حوله الخنادق⁽³⁸⁾، والصحيح أن الذي هدم السور هو الأمير عيسى بن العادل الأيوبي صاحب دمشق في عام (616 هـ / 1220 م) لما رأى من قوة الصليبيين وتغلبهم على دمياط خشي أن يقصدوا القدس فلا يقدر على صدهم وحماية المدينة، فخرّبها لذلك السبب⁽³⁹⁾، ويعيد (محمد عابد) كثرة الأخطاء التي وقع فيها ابن بطوطة أثناء تدوين رحلته وخاصة في الأسماء وفي وصف المدن إلى المدة من خروج ابن بطوطة وعودته إلى بلاده، فتعدّمة طويلة من المحتمل أن يكون تعرض فيها للنسيان، فنسي الكثير من المعلومات والأحداث التي علقت بذاكرته وأراد تدوينها⁽⁴⁰⁾.

أيًا كان الأمر؛ فقد أراد ابن بطوطة أن يعطي الفعل دلالة رمزية لإبراز رؤية سياسية وعسكرية ثاقبة لصلاح الدين بالحفاظ على ثمار الفتح، فضلًا عن إضفاء بعد ديني على عمله، وإظهار توجسه من أن تواجه الأماكن المقدسة المخاطر؛ لذا سعى لتحسينها وتأمينها. واختزل بعض المؤرخين فتح بيت المقدس في نتائج النصر ومكتسباته، وتعمدوا تجنب تفاصيل حطين وما بعدها، وكان جل همهم أن يعيدوا فضل زيارة بيت المقدس وحرّيته، والنشاط العلمي الدؤوب فيه، وكل ما يعاصرونه إلى صلاح الدين؛ كالبُلُوي (ت 780 هـ / 1387 م) في رحلته (تاج المفرق)، فعندما دخل القدس في المحرم من عام (738 هـ / 1338 م) سجل مشاهداته لبناء المسجد الأقصى وأروقته وساحاته ومداخله ومآذنه ومنبره ومحرابه، والجلق العلمية والمدارس ومن لقيهم من العلماء، عاذاً الحركة العلمية وما جرى من إصلاحات من أسباب النصر وثماره، وأنه حال عودة بيت المقدس إلى سلطة المسلمين على يد صلاح الدين تغيرت الأوضاع وتبنى العبارة التي كتبت على المحراب وهي: «أمر بتجديد المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه.... صلاح الدين»⁽⁴¹⁾، فعقب عليها وأطنب في الحديث عما شاهده من عمارة وتجديد للبناء⁽⁴²⁾، وبجلاء أثنى البلوي على صلاح الدين بعبارات تفوح

بالتمجيد فنعتته (بصلاح الدين والدنيا) و(عبد الله ووليه الذي جدد عمارة المسجد على التقوى)، وختمها بنبرة من التباهي على مقدرة صلاح الدين فتح المدينة في شهور من عام (583هـ / 1187م) وأنه ظل-أي صلاحًا- يسأل الله -جل وعلا- أن يوزعه شكر هذه النعمة⁽⁴³⁾، وإيراد مثل هذا الكلام عن صلاح الدين يحمل بين طياته رغبة البلوي في إظهار قائد حطين بحسن التخطيط ناهيك ببطولته، وزهده في عدم الإشارة إلى جهوده، ورد الفضل كله لله وحده. ولا أدل على ذلك من استهلاله بالفتح الصلاحي لبيت المقدس بعد انتهائه مباشرة من تعداد فضائله، وأنه أرض الإسرائ والمعراج لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كل ذلك قبل أن يبدأ بتاريخ الأنبياء وبالفتح العمري⁽⁴⁴⁾، وكأنه رأى أن أهمية الحدث وما يميل إليه وجدانه لا يستلزمان التسلسل الزمني والتدرج التاريخي، بالإضافة إلى أن هذه الباكورة بالفتح الصلاحي يمكن عدّها تأكيدًا على أن صلاح الدين هو واضع حجر الأساس لما شاهده البلوي، بالرغم من أن القدس حين رحل إليها البلوي كان قد مر عليها زمنٌ طويلٌ قرابة قرن ونصف شهدت خلاله كثيرًا من الإصلاحات⁽⁴⁵⁾. وذهب معاصره لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ / 1374م) في موسوعته التاريخية الأندلسية (أعمال الأعلام) إلى أبعد من ذلك عندما استنسخ الخبر من المصدر المشرقي (الفتح القسي في الفتح القدسي) للعماد الأصفهاني (ت 597هـ / 1201م) المعاصر للدولة الأيوبية (-648 567هـ / -1169 1250م). ويلوح في ذهن أن كتاب (الفتح القسي) ليس كأبي مصدر من مصادر الدولة الأيوبية، بل فريد من نوعه؛ إذ خصصه مؤلفه لتاريخ السنوات السبع فقط من حياة صلاح الدين وحروبه في مصر والشام (-583 589هـ / -1187 1193م) دشنه عام حطين واسترداد بيت المقدس، وقد علل افتتاحه بهذا العام بأنه يعدُّ فتح صلاح هجرة ثانية للإسلام إلى بيت المقدس⁽⁴⁶⁾، واختيار ابن الخطيب له لم يمكن محض مصادفة، فمن الواضح أنه وجد في كتاب العماد الأصفهاني ما خالجه وجدانه وانسجم مع شغفه تجاه الحدث، بالإضافة إلى ما توصل إليه (أحد الباحثين) بأن ابن الخطيب في كتابه (أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الإسلام) لم يكن يبسط الحديث إلا عن السلاطين والأمراء الذين وافقوا شرط كتابه، وهم الصبية الذين تولوا الحكم ولم يبلغوا سن الحلم⁽⁴⁷⁾، لكن بسطه الحديث عن تاريخ صلاح الدين وفتحه لبيت المقدس هو استثناء من هذه القاعدة، وهذا يدل على خصوصية الخبر وتميزه عن غيره من الحوادث التاريخية لدى ابن الخطيب، لكنه استخدم الكياسة في الكتابة، فجمع بين إجلاله للحدث والالتزام بميثاق مصنفه؛ وذلك عندما لم يؤرخ للفتح في عصر

صلاح الدين الأيوبي (567 - 589هـ / 1171 - 1193م)، بل استطرد به مسهباً في عصر السلطان الصالح بن العادل الأيوبي (-635 637هـ / 1237-1239م) الذي تولى الحكم وهو صبي لم يبلغ الحلم؛ فهو من شرط كتابه⁽⁴⁸⁾، وبذلك جمع بين الإجلال وتفادي الإخلال بشرطه.

تبنى ابن الخطيب إطلاق (الهجرة الثانية أو هجرة الإسلام) على استرداد بيت المقدس، بأسلوب مفعم بالبهجة والفخر، وبدأ المؤرخ الأندلسي مستفتحاً بقوله: «كفى بفتح بيت المقدس فتحاً شهيراً وذكرًا جميلاً وأثرًا كبيراً»⁽⁴⁹⁾، فاستدعى التاريخ ليغلف به ما ألهب عاطفته، ويعزز به صحة مبدئه؛ إذ استحضر تأريخ الأقوام والدول بأحداثها المهمة؛ كاليهود والنصارى والعرب، فيشير مثلاً إلى أن اليهود والنصارى أرخوا بأخبار أنبيائهم وخلفائهم، وبعمارة بيت المقدس وخرابه، والعرب قبل الإسلام أرخوا بحرب داحس والغبراء⁽⁵⁰⁾، وبحرب الفجار⁽⁵¹⁾، وحلف الفضول⁽⁵²⁾، والمسلمون أرخوا بالهجرة النبوية؛ ليقنع قارئه وخاصة أهل التاريخ منهم بأن يؤرخوا بفتح بيت المقدس؛ لأنه -من وجهة نظره- (هجرة ثانية للإسلام) واصفاً أمده بأنه مقرون بيوم القيامة، وأن مواعده كان لا بد من وقوعه من الله ليس له دافع من أحد كيوم الآخرة⁽⁵³⁾. واستتباعاً لأسلوب ابن الخطيب الزاخم بالحفاوة للحدث؛ عمد إلى إيراد الأسباب التي سوّغ فيها العماد الأصفهاني تصويره واقتراحه بأن يؤرخ المسلمون بالفتح الصلاحي؛ الأول لأن عامه يحسن أن يبنى عليه التاريخ، وعلى نسقه ينسق، والثاني لأنها أقوى الهجرتين، وأقوى الكرتين؛ فإن العرب كانت إذا قد بلغت غايتها في وصف الرجل بالقوة تقول (كأنه كسر ثم جبر) أي كأن لم يمر به كسر لما تم له من الجبر والبأس الصلابة؛ لأن هناك فرقاً كبيراً بين فتح الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والفتح الذي كان على يد صلاح الدين الأيوبي؛ فحال الإسلام في الشام زمن صلاح الدين الأيوبي أضعف لتعرضه للحملات الصليبية من الروم التي تركت آثارها على البلاد، ناهيك بتشرذم المسلمين وتفرقهم، أما فتح الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فكان أكثر ثقة بالنصر؛ لتوحدتهم على قلب رجل واحد، ولقربهم من العهد النبوي وزمن الوحي؛ إذ بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤازرة والنصر، وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه يملك الدنيا، وتزوى له الأرض مشارقها ومغاربها، فكان تقدمهم ثقة بوعود النصر، وإن الإسلام في منعة وقوة آنذاك⁽⁵⁴⁾.

استمر ابن الخطيب في إشارات بالفتح بأنه هو أعظم من كونه فتحاً واحداً، بل هو فتحان؛ فتح والدم ذائب، وفتح والذهب جامد، وهي

كناية عن أنه أدمى جراحهم، واستنزف قوتهم، وأثخن فيهم، ويلقي هالة من العظمة على صلاح واستحقاقه الثناء بإجماع الناس، فهم أكيس أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا آثار إحسانه، ويختتم ابن الخطيب بالرجاء لله أن يكتبه من الصادقين والمحسنين، وأن يُحشر مع الذين آمنوا أمثال صلاح الدين، ويختتم حتى إذا ما فاخر السيف القلم فالبون شاسع بين مكانة العلماء والملوك المجاهدين أمثال صلاح الدين، وشتان بين أهل القلم والتدوين وبين أهل السيف وتسطير الملاحم⁽⁵⁵⁾.

أما معاصره ابن خلدون (ت808هـ / 1406م) فكانت أساليبه أقل إجلالاً في سرد خبر فتح بيت المقدس، ولم تظهر العاطفة الجياشة التي طغت على تعبير ابن الخطيب في أساليب ابن خلدون في كتابيه (العبر) أو (المقدمة)، مع أنه لم يفقه حتى ذكر فضل بيت المقدس ومكانته الدينية⁽⁵⁶⁾، لكن همه كان التركيز على نتائج الفتح؛ لذا استفاض بتعداد مظاهر النصر من رفع الأعلام الإسلامية على أسوار القدس، وتطهير المسجد والصخرة من أقذار الصليبيين، وقيام صلاة الجمعة والفروض الخمس في المسجد الأقصى كان فيها صلاح الدين إماماً وخطيباً، كما أمر بحمل منبر نور الدين محمود زنكالي الذي أعده من عشرين عاماً للمسجد الأقصى من حلب إلى القدس⁽⁵⁷⁾، وشرع بعدها ابن خلدون مسترسلاً في تعداد مكتسبات النصر من عمارة المسجد الأقصى، وتزويده بالمصاحف، وإقامة حلق للقراء، وإجراء الرواتب والأعطيات لهم، وبناء الربط والمدارس والبيمارستانات والأوقاف، وإصلاح سور القدس، وعقد الصلح مع ملوك الصليبيين⁽⁵⁸⁾، وتشجيع أهل القدس من المسلمين والنصارى والجند على شراء عقارات الصليبيين التي باعوها بأبخس الأثمان عند رحيلهم، ورغم إسهابه بذكر الآثار الإصلاحية في بيت المقدس، لكننا لم نجد إلا جملتين في مدح صلاح الدين طعم بهما روايته للخبر؛ إذ قال: (فتح القدس كان يوماً مشهوداً)، وقال: (هي مكرمة من مكارمه رحمه الله تعالى) يعني صلاح الدين⁽⁵⁹⁾، لكن ابن خلدون انفرد عمن سبقه من مؤرخي الغرب الإسلامي بتسجيله الاستعدادات الأولى لمعركة الفتح، ومكان اختيار معسكر المسلمين في جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون، وتنصيبه للمجانيق عليها، واحتدام المعركة واشتداد القتال حتى دب الوهن في الصليبيين وطلبوا الأمان، فلما جنحوا إلى السلم أمنهم وشارطهم على الجزية عشرة دنانير للرجل، وخمسة للمرأة، ودينارين للصبية على أجل أربعين يوماً، ومن تأخر أدأؤه عن الموعد فبعد أسيراً، وتحدث عن تنظيم صلاح الدين للخراج لأهل المدينة من الصليبيين⁽⁶⁰⁾، ولا غرابة فيما تطرق إليه ابن خلدون من تفاصيل لحواث الفتح وما سبقته من تجهيزات؛

فطبيعة كتابه الموسوعي في التاريخ العام دعاه إلى ذلك. سار الناصري السلوي (ت1314هـ/1896م) على غرار ابن خلدون في ذكره الفتح الصلاحي شبه خالٍ من عبارات التمجيد، فخلص الخبر من بداية الحملة الصليبية الأولى، واستيلاء الصليبيين على القدس وتحريره على يد صلاح الدين في بضعة أسطر؛ فقال: كانت الفرنج قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة -يعني قبل هذا التاريخ- وملكوا معها بيت المقدس شرفه الله، فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم وصار يفتح حصونها واحداً بعد واحد حتى أتى على جميعها، وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وهدم الكنيسة التي بنواحيها⁽⁶¹⁾. ويبدو أن السلوي وقع في خطأ تاريخي، فلما عدنا إلى خبر هدم الكنيسة لم نجد له ذكراً في الموارد الأصيلة التي أرخت للحدث وعاصرته، بل على العكس أطلقت العنان في الإعراب عن تسامح صلاح الدين في ترك الكنائس للنصارى، حتى لما أشار عليه بعض المقربين منه بهدم كنيسة (القيامة)، وإزالة آثارها رفض مستشهداً بأمر الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (13-23هـ / 634-644م) للصحابة بعدم هدم أي بناء، وقام بتعيين دار البطريرك رباطاً للفقراء، وهو بقرب كنيسة القيامة، ووقف عليهما وقوفاً وأسدَى بذلك لطوائف النصارى معروفاً، ولم يقم صلاح الدين إلا بتحويل كنيسة (صند حنة) إلى مدرسة للفقهاء الشافعية⁽⁶²⁾. ومن نافلة القول أن ننبه على أن المصادر المغربية والأندلسية لم تأتِ باسم معركة (حطين) ولا بشيء من تفاصيلها؛ كموقعها والاستعدادات لها وأحداثها، أو حتى اسمها عدا ابن خلدون الذي سرد بعضاً من أخبارها في كتابه (العبر)، وأحجمت عنها بقية المصادر رغم أن فتح بيت المقدس تيسر بنصرها، وضعفت مقاومة الصليبيين بسببها، وعلى إثرها أوشكت على الانهيار، والسبب -فيما نرى- أن المصادر المشرقية كانت قد استفاضت في الحديث عنها وأطنبت؛ لذا لم يرغب مؤرخو الغرب الإسلامي في تكرار الخبر، فكانت بوصلة وجدانهم تتجه صوب قمة الهرم للحدث وهو فتح بيت المقدس وعودة المسجد الأقصى للمسلمين.

صدى خبر فتح بيت المقدس على الموحدين وعلاقاتهم بالأيوبيين:

أفرز خبر الفتح الصلاحي لبيت المقدس عام (583هـ/1187م) مواقف سياسية متباينة للخلفاء والولاة المسلمين وغير المسلمين، فمنهم من أبدى سروره بالخبر واكتفى بإرسال رسائل التهئة، ومنهم من بعث الوفود لتقديم التهاني، ومنهم من التزم الصمت، كل ذلك بعد أن أرسل صلاح الدين الكتب

بالبشائر باسترداد بيت المقدس إلى الخليفة العباسي وإلى عدد من الحكام والأمراء شرقاً وغرباً؛ إذ بلغ عددها أكثر من سبعين كتاباً دونها العماد الاصفهاني (ت 595هـ / 1198م)، في مقدمتها كتابُ أُرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (-575 622هـ / -1179 1225م) في بغداد ⁽⁶³⁾ استهله بأية كريمة عن وعد الله سبحانه لعباده بالاستخلاف في الأرض في قوله تعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من بعدهم...}، ومما جاء فيه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْقُدُسَ وَأَعَاذَهُ مِنَ الرَّجَسِ، وَحَقَّقَ مِنْ فَتْحِهِ مَا كَانَ فِي النَّفْسِ، وَبَدَّلَ وَحْشَةَ الْكُفْرِ فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْسِ، وَجَعَلَ عَزَّ يَوْمَهُ مَا حَيَّا ذُلَّ الْأَمْسِ، وَأَسْكَنَهُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ بَعْدَ الْجُهَالِ وَالضَّلَالِ مِنَ الْبَطْرِكَ وَالْقَسِ وَعَبْدَةَ الصَّلِيبِ وَمُسْتَقْبَلِي الشَّمْسِ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الضَّالِّينَ جُنُودَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَالَمِينَ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» ⁽⁶⁴⁾، ورد الخليفة على الكتاب بجواب فيه بشارة راقية وتهنئة بالغة ⁽⁶⁵⁾. وممن اتخذ موقفاً سياسياً يحمل بين طياته المؤازرة وإبداء السرور والبهجة، وبعثوا الوفود والسفارات بالتبريكات والتهاني ملوك سلاجقة الروم وخراسان والعراق وأمرائهم؛ كـ(قتلغ أبنانج بن بهلوان) ورسول (قزل أرسلان) المستولي على ممالك أران ⁽⁶⁶⁾ وأذربيجان ⁽⁶⁷⁾، وهو عز الدين الطالبي وغيرهم، عقب أن وصلتهم رسائل صلاح الدين بتباشير النصر وبما من الله به على المسلمين باسترداد القدس والمسجد الأقصى وتطهيره من الصليبيين، فكان صلاح الدين في مقدمة استقبالهم بمخيمه ظاهر بيت المقدس، تلك الفرحة العارمة التي غمرت المسلمين في أرجاء المعمورة كانت بمنزلة دعوة لعدد من الأمراء والعلماء والأعيان لزيارة بيت المقدس للصلاة في المسجد الأقصى، وتقديم التهاني لصلاح الدين ⁽⁶⁸⁾. وتلقى الإمبراطور البيزنطي (إسحاق الثاني أنجليوس) كتاباً أيضاً من صلاح الدين يبشره بالنصر وهزيمة الصليبيين، مرسلًا معه قرابة مائة وتسعين رجلاً من رعايا الدولة البيزنطية كانوا قد وقعوا في الأسر إبان حروبه ضد الصليبيين في القدس، وردَّ الإمبراطور البيزنطي عام (583هـ / 1187م) بسفارة إلى صلاح الدين يبارك له نصره على الصليبيين وفتح بيت المقدس ⁽⁶⁹⁾، ويحرضه على قتال اللاتين في بلاد الشام، واسترداد المدن الساحلية من سيطرتهم، وأبدى إعجابه بشجاعته وبسالته، ويطلب منه عقد حلف ضد اللاتين، كما طلب مساعدة السلطان في إطلاق سراح أخيه (ألكسيوس) الذي كان أسيراً لدى الصليبيين، وأطلق أخو الإمبراطور وحُرِّرَ من قبضة الصليبيين وأُرسل إلى القسطنطينية ⁽⁷⁰⁾، وهذا العداء بين البيزنطيين والصليبيين له أسبابه المذهبية والسياسية ⁽⁷¹⁾.

أيًا كان الأمر؛ فالذي يعنينا أن المصالح السياسية قد جمعت بين

الضدين صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي، وهذا ما جعل الأخير يستبشر بالفتح الصلاحي لبيت المقدس، وبنهاية سيطرة الصليبيين على بلاد الشام وعلى كنائس النصارى هناك.

لكن يبدو أن المصالح سواء السياسية أو المذهبية قد أدت دوراً آخر بين الدولة الأيوبية (567 - 648 هـ / 1169 - 1250 م)، والدولة الموحدية (514 - 674 هـ / 1120 - 1275 م) فمشهد الصمت السياسي من الخليفة الموحي المنصور أبي يوسف يعقوب (580 هـ - 595 هـ / 1184 - 1199 م) تجاه حدث بحجم فتح بيت المقدس وتحريره من الصليبيين بعد تسعين عاماً تقريباً من الاستيلاء لا يمكن تفسيره إلا بوجود توتر واضطراب بين الطرفين، فمن المتوقع أن كتاب البشرى بالنصر وصله من صلاح الدين من ضمن الكتب السبعين التي أرسلها إلى حكام الدول، ولكن المصادر المغربية والمشرقية التي بين أيدينا لم تكشف عن هذا الكتاب، وإنما وثقت الكتاب الآخر الذي أرسله صلاح الدين إليه يطلب معونته عام (585 هـ / 1189 م)، فمن غير الممكن أن يرسل صلاح الدين إلى الإمبراطور البيزنطي، ويتجاهل دولة وشخصاً بقدر الخليفة المنصور ودولة الموحيين، ولعل أقرب إلى المعقول أن صلاح الدين لم يطلب المعونة إلا وقد بعث قبلها برسالة البشرى في عام الفتح (583 هـ / 1187 م). ويقود هذا الموقف السياسي المنفرد للموحيين إلى إثارة تساؤلات حول العلاقات السائدة بينهم من جهة، وبين الأيوبيين والخلافة العباسية (-132 656 هـ / 750 - 1258 م) من جهة أخرى التي كان بنو أيوب يدينون لها بالولاء والشرعية؛ والأسباب التي خلقت هذه الأجواء.

ففي عام (512 هـ / 1118 م) تسلم المسترشد بالله (512-529 هـ / 1118 - 1135 م) زمام الخلافة العباسية فأحدث تغييرات في موازين القوى مستغلاً ضعف السلاجقة والنزاعات بين أمرائها، فاستعاد جزءاً من هيبة الخلافة التي افتقدها العالم الإسلامي طيلة سيطرة البويهيين (334-447 هـ / 945-1055 م) ومن بعدهم السلاجقة (447-574 هـ / 1055-1178 م) على مقاليد الحكم والخلافة، وكان دور الخليفة اسمياً، وذلك بعدما تمكن المسترشد من الانتصار على السلاجقة في موقعة تكش عام (590 هـ / 1194 م) في الري⁽⁷²⁾، رغم مساعيه لإنهاء سيطرة سلاجقة الروم على بغداد؛ كضمه عدداً من قادة جيش السلاجقة المنشقين، وقطعه الخطبة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (527 - 547 هـ / 1133 - 1152 م) والتوجه إلى همدان⁽⁷³⁾ لمقاتلته هناك؛ لكن الأخير انتصر عليه ووقع الخليفة العباسي في الأسر والقتل عام (529 هـ / 1135 م). ويبدو أن ثمار تلك الجهود لم تذهب سدى عندما تولى الخلافة

الناصر لدين الله العباسي (575-622هـ / 1180-1225م) وتخلص من الهيمنة السلجوقية نهائياً عام (590هـ / 1194م) ⁽⁷⁴⁾، وهذا ما أسهم في استرجاع هيبة الخلافة العباسية؛ فجعل ذلك الأمراء في المشرق والمغرب يحرصون على مخاطبة ودها وعلى اعترافها الشرعي بحكمهم على أقاليم مختلفة من العالم، ومنهم ابن غانية في المغرب الذي اتصل بالخليفة الناصر وطلب منه الخلع والأعلام السوداء، وهو اعتراف صريح بشرعية الخلافة العباسية، ومحمد بن هود الجذامي (620-635هـ / 1223-1237م) صاحب مرسية ⁽⁷⁵⁾ في الأندلس الذي أقام الخطبة للخليفة العباسي المستنصر (623-640هـ / 1234-1242م) ورفع الأعلام السوداء راية العباسيين، وقبلهم كانت الدولة الأيوبية (-567 648هـ / 1169-1250م) التي حرص مؤسسها صلاح الدين على الولاء والشرعية للخلافة في بغداد، وخطب للخليفة العباسي حتى على منبر المسجد الأقصى بعد فتحه ⁽⁷⁶⁾.

لكن الموحدين (-514 674هـ / 1120-1275م) كان لهم رأي مغاير في مسألة الولاء للخلافة العباسية وإضفاء الشرعية، فبعد إسقاطهم لدولة المرابطين (448-541هـ / 1056-1146م) وبسط سيطرتهم على المغرب والأندلس رفضوا الاعتراف بالخلافة العباسية، وسموا أنفسهم خلفاء، وقطعوا الخطبة للخلافة على منابر المغرب والأندلس بعدما كانت ولاية عباسية يخطب فيها المرابطون لخلفائها على المنابر ⁽⁷⁷⁾، ولم يكتفوا بذلك؛ إذ تشير بعض المصادر إلى نيات موحدية تجاه مصر، وتبينت من عدد من الإجراءات التي اتخذها أعيان من مصر لدخول الموحدين، فيما أورده ابن جبير من أن عدداً من فقهاء مصر وعلمائها قد أعدوا جملة من الخطب التي سيلقونها بين يدي المنصور الموحدي إذا تم له ذلك؛ يعني دخول مصر وبسط السيطرة عليها، وهي أرض تتبع العباسيين، وفي هذا يقول ابن جبير: «ونمى إلينا أن بعض فقهاء هذه البلاد المذكورة وزعمائها قد حبر خطباً أعدها للقيام بها بين يدي سيدنا أمير المؤمنين ...، وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السعادة، وينتظره انتظار الفرج بالصبر الذي هو عبادة، والله عز وجل يبسطها من كلمة، ويعليها من دعوة، إنه على ما يشاء قدير» ⁽⁷⁸⁾. وهذا التأهب المصري الذي تناوله ابن جبير بالحديث ليس الدليل الوحيد على تلك التحركات الموحدية، بل يذهب المراكشي إلى القول بأن دخول مصر كانت فكرة تراود المهدي -محمد بن تومرت (ت 524هـ / 1130م) ⁽⁷⁹⁾- نفسه، حتى إنه ذكر لأحد أصحابه يوماً أنه ينتظر اليوم الذي يرى فيه الموحدين أمراء مصر يستظلون بسلطانه في المغرب. ولئن كان غزو مصر هدفاً

للموحدين من عهد مؤسس دولتهم المهدي، فالرغبة في تحقيق هذا الهدف لعلها زادت في زمن المنصور بعد ما حققه من انتصارات في المغرب والأندلس؛ لذا صرح بقوله: «نحن إن شاء الله مطهروها» يقصد بها البلاد المصرية؛ لما يزعم من انتشار البدع والمناكر فيها⁽⁸⁰⁾. وفي هذا القول وكل ما تقدم دلائل على توقد شعلة الصراع بين الخلافة العباسية والموحدين رائده الاختلاف المذهبي بينهما، فالعباسيون على مذهب أهل السنة، أما عقيدة الموحدين فهي مزيج من مذهب الرافضة (الإمامية والعصمة والمهدية) والعقيدة الأشعرية، ومبادئ أهل الكلام من المعتزلة⁽⁸¹⁾، وسبب قد يكون وجيهاً وهو أن اثنين من قواد بني أيوب وهما: شرف الدين قراقوش، وإبراهيم قراتكين الذين قاما بالتحرك نحو المغرب في سنة (568هـ/1172م)، واتبعوا ما نستطيع القول عنه بإستراتيجية (حرب العصابات)، وهو القيام بعمليات خاطفة وهجمات صغيرة ضد أراضي الموحدين⁽⁸²⁾، فإذا تم المراد أمن بنو أيوب على دولتهم، وإذا لم يتحقق الهدف فلا خسارة على جيوش الأيوبيين، ولا لوم على السلطان صلاح الدين الأيوبي القائد التي علقت عليه آمال وحدة الصفوف لجهاد الصليبيين لأنهم لم يكونوا جيش أيوبي منظم، فإن ثبت تاريخ دخول الأغزاز الترك عام (574هـ/1178م)، وتمكنهم من الاستيلاء على مناطق للموحدين في المغرب الأدنى، وتحالفوا مع خصومهم كبني غانية في الأندلس، فإن ذلك يعد من الأسباب لعدم مباركة المنصور الموحي لفتح بيت المقدس الذي كما هو معروف عام (583هـ/1187م).

حاول صلاح الدين رَأب الصدع بينه وبين المنصور الموحي، والنأي بنفسه عن الخلافات بين العباسيين في بغداد والموحدين، وكأنه يريد أن يبين للموحدين بأنهم جبهة الدفاع الأولى عن ديار الإسلام في المغرب؛ لذا أسماه (معلي الموحدين على الملحين) و(سلطان الإسلام) في الرسالة التي كتبها إليه، وذلك عندما احتاج صلاح الدين إلى معونة المسلمين في المشرق والمغرب؛ لرد اعتداءات الصليبيين على بلاد المسلمين، خصوصاً بعد أصبح أسطول الأيوبيين يعاني من ضعف بعد تحريره لبيت المقدس، فضلاً عن خوضه حروباً كثيرة مع الصليبيين لصد حملاتهم عن مصر والشام، ووصلت إلى بلاط المنصور الموحي (580هـ-595هـ/1184-1199م) سفارة أيوبية بقيادة الأمير ابن منقذ⁽⁸³⁾ تطلب إمدادات بحرية لمواجهة الأساطيل الصليبية سنة (585هـ/1189م)، ولم يستجب الأخير ولم يرد على رسالة صلاح الدين⁽⁸⁴⁾، ورسالة ثانية مؤرخة في عام (586هـ/1190م) ولكن لم نجد ردّاً فيما بين أيدينا من مصادر للخليفة الموحي عليهما، وكلتا الرسالتين تضمنت الإشارة إلى طلب المعونة العسكرية

وبالتحديد البحرية، ولكن الأولى التي وردت في صبح الأعشى أشارت إلى تحرير بيت المقدس من الصليبيين⁽⁸⁵⁾، وهي إشارة إلى إنجاز لا نظير له لصالح الدين كان المقصد منه التذكير بأن الغرض ظفر الإسلام والحفاظ على مكتسبات النصر، وليس لطلب أي أغراض شخصية أو مصالح جماعية، أما الثانية التي وردت في الروضتين فهي تركز على طلب المعونة بالإمدادات البحرية كالأساطيل، وفي حال تعذرت الإعانة لا بأس بالمال والرجال⁽⁸⁶⁾. والحقيقة أن مؤلف (رسائل موحدية) معاناه نقل الرسالتين من مصادر مشرقية (صبح الأعشى) و(الروضتين) كما ذكر آنفاً لكنه لم يتأثر بهم، فلم يحتف بالفتح الصلاحي لبيت المقدس ومر على ذكرهم مرور الكرام، والسبب هو أن جميع الرسائل كانت من إنشاء كُتّاب في ديوان الخليفة المنصور، ومن المستحيل أن يكتبوا إلا ما يملئ عليهم وما يوافق هوى الخليفة، ولا يخرجون عن رغبته. ويشير (أحمد عزاي) إلى أن نص الرسالة التي أوردها صاحب الروضتين في عام (586هـ / 1190م) يشير إلى استنجاد سابق من صلاح الدين يقصد الرسالة التي في عام (585هـ / 1189م) وذكرها القلقشندي والتي جاء فيها: «وهذه التحية الطيبة الكريمة الطيبة الواجبة الرد...»، فيعني أن هناك رسالة تطلبت الرد فلا بد أن تكون هناك رسالة سابقة طلبت المعونة، ولكن المنصور فيما يتضح لم يستجب ولم يرد حتى على الرسالة، ويضيف أن رسالة (صبح الأعشى) تكثر فيها تعابير التبجيل للخليفة المنصور الموحيدي (580هـ - 595هـ / 1184 - 1199م) فتصفه تارة باسم (سيدنا)، وأحياناً بلقب أمير المؤمنين، وأمير المسلمين، وهناك من يطعن في هذا معللاً بأن الرسالة المحمولة إلى المغرب لم تكن تحمل طابع صلاح الدين، أما رسالة (الروضتين) فهي تحمل تعابير حذرة تراعي مكانة الطرفين باعتدال، فرغم أنها تجرد صلاح الدين من الألقاب السلطانية وتصفه بالفقير إلى ربه يوسف بن أيوب، فإنها لم تعترف للمنصور الموحيدي بلقب الخلافة؛ لذا قد يكون هذا سبب آخر في أن المنصور رفض تقديم المساعدة للأيوبيين⁽⁸⁷⁾، ويبدو أن المنصور رأى أن صلاح الدين ما دام على ولاء بالخلافة العباسية واعتراف بشرعيتهم، وكل نصر يحسب له وللخليفة، فلا سبيل إلى مساندة صلاح الدين وإمداده وهو حليف مناوئه العباسيين، وقطع بذلك أي محاولة للتقارب مع الأيوبيين، وأن يكون صلاح الدين طرفاً وسيطاً بين الخصمين العباسيين والموحيدين، فضلاً عن المعارك التي كان يشنها الأغزاز الخارجين من مصر والتي قد تكون سبباً لا يستهان به، فالمحصلة أن محاولات صلاح لترميم العلاقات بينه وبين المنصور الموحيدي لم تنجح ولم يستطع صلاح الدين الحصول منها على مراده. وذهب (عبد المجيد جلوان) إلى ما علناه لعدم

تقديم المساعدة بأن يعقوب المنصور خطأ خطأ كبيراً حينما أرسل إليه صلاح الدين الأيوبي يطلب مؤازرة أسطوله، وإقفال البحر الأبيض المتوسط في وجه الأساطيل الأوروبية في طريقها إلى بيت المقدس، ويعلل المؤرخون ذلك بأن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين، ونرى نحن أن لهذا الرفض علاقة ببعض الحروب التي قامت على حدود الموحدين الشرقية، ولو أقدم المنصور على إقفال البحر المتوسط، وكان أسطوله من أقوى الأساطيل الإسلامية، لكان من الممكن أن يغير مجرى التاريخ العربي⁽⁸⁸⁾. ومما له مغزاه في هذا السياق أن المنصور لم تفته فرصة تكريم السفارة الأيوبية، وخاصة رئيسها الأمير ابن منقذ، وذلك لثلاثة دوافع؛ أولها التزامه بالأعراف الدولية وهو حسن معاملة السفارة، وثانيها يطيب خواطر من يهمل الأمر من المسلمين، وآخرها يتجنب رد المنتقدين على عدم الاستجابة لطلب صلاح الدين، فابن عذاري (ت بعد 712هـ / 1312م) ركز على التكريم والهدايا وأبهة الضيافة التي استقبل بها السفير الأيوبي، وأنهى حديثه بالثناء على المنصور متباهياً بعبارة قد رأى ووعى في طريقه - يعني ابن منقذ - ومدة إقامته في المغرب أن فيها ملك الإسلام ومقر الإيمان⁽⁸⁹⁾، ولعل ما يفسر أسلوب المجاملة هو أن ابن عذاري كان عاش في ظل الموحدين، وامتدت حياته إلى الدول التي جاءت بعدها؛ لذا لاحظنا تحفظه على ذكر سبب السفارة وعدم استجابة المنصور لطلب صلاح الدين. وذكر ابن خلدون والناصري السلاوي هذه المراسلة والسفارة بين السلطان والخليفة، لكنهما انفردا بمعلومات دون سواهما من مصادر مشرقية ومغربية - على ما يبدو - مثيرة للتساؤل، وهي أن صلاح الدين بعث مع ابن منقذ هدايا تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين، ومائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلاً من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوساً عربية بأوتارها، وعشرين من النصول الهندية، وسروج عدة مثقلة⁽⁹⁰⁾، وربما ما هو أغرب رواية وردت بلهجة التشكك تقول: «ويقال إنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولاً ومنع النصارى من سواحل الشام والله تعالى أعلم»، ويعلق ابن خلدون على المساعدة على حسب تعبيره، وهذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالأساطيل الجهادية، وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد بها⁽⁹¹⁾، فمؤرخو المشرق لم يذكروا المساعدة البتة، ولو حدثت بالفعل لامتدحوا المنصور وتباهى مؤرخو الغرب الإسلامي بها، وبخاصة المقربون من البلاط الموحيدي، فما أورده أبو شامة من حصول المساعدة يناقض ما اتفق عليه المؤرخان ابن خلدون والسلاوي الذي قال: «لم يحصل من جهة سلطان المغرب ما التمس منه من النجدة، وبلغني أنه عز عليهم كونه لم يخاطب

بأمر المؤمنين، على جاري عادتهم»، كما أشار السلاوي في موضع آخر من كتابه إلى عدم حصول المساعدة، وذكر السبب أنه عدم مخاطبة المنصور بأمر المؤمنين، بل أسماه أمير المسلمين، وكأنه متشكك من رواية ابن خلدون ويريد أن يبرئ ذمته في موضع آخر؛ لذا كان هذا التشكك بكلمة (يقال) و(الله أعلم) ⁽⁹²⁾، واستبعد الباحث (إبراهيم حركات) رواية ابن خلدون وعدها رواية من غير إسناد ⁽⁹³⁾، وربما القصيدة الشعرية التي حبرها السفير الأيوبي ابن منقذ في مدح المنصور وبلغت أربعين بيتاً حدث بابن خلدون ومن بعده السلاوي أن يعتقد ذلك؛ إذ أعطاه الخليفة بكل بيت ألفاً، وقال له: إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك، فمن الجلي أن القصيدة كانت من أجل العطايا الشخصية لابن منقذ، وليست لأجل استجابة المنصور لصلاح الدين، ومما جاء في تلك الأبيات:

سأشكر بحرًا ذا عباب قطعتُه	إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى	إلى من سمت بالذكر منه الأوائلُ
إليك أمير المؤمنين ولم تزل	إلى بابك المأمول تزجي الرواحلُ
قطعت إليك البر والبحر موقنًا	بأن نذاك الغمر بالنجح كافلُ
وحزت بقصديك العلى فبلغتها	وأدنى عطايك العلى والفـواضلُ
فلا زلت للعلاء والجود بانِيًا	تبلغك الآمال ما أنت أمـلُ ⁽⁹⁴⁾

ألقت تباشير النصر بظلالها على المجتمع المغربي والأندلسي، فسجل لهم التاريخ مواقف تدل على متانة الرابطة الدينية، ومكانة بيت المقدس في نفوسهم، وتركت آثارها جلية لإيجاد وجهة جديدة للرحلات من المغرب والأندلس.

خامساً: موقف المجتمع المغربي والأندلسي من الفتح الصلاحي وآثاره:

كانت نفوس أهل المغرب والأندلس تتوق إلى تحرير بيت المقدس، ولا تياس عن حلم استرداده؛ فهذا أبو الحكم بن برجان الأندلسي (ت 536هـ / 1141م) الملقب بـ (غزالي الأندلس) بمشاعر فياضة حنّ إلى فتح بيت المقدس، فطالع الحوادث بنظرة القارئ الثاقبة، وبارهاصات المفسر الحصيف، فقد أورد في تفسيره لفواتح (سورة الروم) ⁽⁹⁵⁾ أن بيت المقدس سوف يفتح في رجب من عام (583هـ / 1187م) وذلك بحسابات مجتهد وفرضيات طويلة سردها في كتابه (تنبيه الأفهام) الذي ألفه عام (520هـ / 1126م) ⁽⁹⁶⁾، ولكنه توفي عام (536هـ / 1141م) قبل أن تتحقق توقعاته ويتحرر بيت المقدس من أيدي الصليبيين، ونقل عنه قاضي دمشق ⁽⁹⁷⁾ ابن الزكي ⁽⁹⁸⁾ مبشراً بفتح بيت المقدس عندما امتدح صلاح الدين على فتح حلب ⁽⁹⁹⁾ عام (579هـ / 1183م) في أبيات شعرية جاء في مطلعها:

وفتحكم حلب الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب⁽¹⁰⁰⁾ وأياً كان الأمر تجاه حسابات ابن برجان من الاختلاف أو الاتفاق معها ؛ فالشاهد هنا أن المجتمعات الإسلامية في المغرب والأندلس كان يسكن في وجدانها بيت المقدس، وتتطلع إلى تحريره. لذا لم يكن ارتحال الفقيه الغوث أبو مدين شعيب بن الحسن التلمساني (ت 594هـ/1198م) الأندلسي الأصل، الذي عاش في فاس ورحل إلى تلمسان ثم إلى بيت المقدس ليشترك في الجهاد ضد الصليبيين مع عدد من تلاميذه الذين كان يستنفدهم للقتال إلا ترجمة لتلك المواقف الدينية والوشائج الأخوية ، فسجل لهم التاريخ جهاد ثلثة من أهل المغرب والأندلس في فتح بيت المقدس بقياد أبو مدين التلمساني⁽¹⁰¹⁾.

أبدى المجتمع المغربي والأندلسي سروره بعد الفتح الصلاحي، وكان الشعر بمنزلة المادة الإعلامية التي تعبر عن كينونة وجدانهم، فتعالت الأصوات بقصائد البهجة والمدح، وجادت قريحة ابن جبير (614هـ/1217م) بأبيات شعرية مدح بها السلطان صلاح الدين وهناك فيها بفتح بيت المقدس في ديوانه المسمى (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان)، وفي ديوانه الآخر (نتيجة الجوانح في تأبين القرين الصالح) وهذان الديوانان مفقودان، لكن وجد منهما مقتطفات من القصائد في بعض المصادر⁽¹⁰²⁾، ومما جاء قول ابن جبير :

أطلت على أفقك الزاهر	سعود من الفلك الدائر
فأبشرف إن رقاب العدا	تُمد إلى سيفك الباتر
فكم لك من فتكة فيهم	حكمت فتكة الأسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة	فلله درك من كاسر
فأدبر ملكهم بالشام	وولى كأمسهم الدابر ⁽¹⁰³⁾

وفيها أيضاً:

ثأرت لدين الهدى في العدا	فأثرك الله من ثائر
وقمت بنصر إله الورى	فسماك بالملك الناصر
فتحت المقدس من أرضه	فعادت إلى وصفها الطاهر
وأعليت فيه منار الهدى	وأحييت من رسمه الدائر
وأمنت أكناف تلك الباد	فهان السبيل على العابر ⁽¹⁰⁴⁾

وتقطع (فردوس العمري) أن ابن جبير لم يكن يمدح من أجل الكسب كما كان معروفًا عند العرب؛ إذ كانت وسيلة القوت والرزق لكثير من الشعراء، وإنما يأتي مدح ابن جبير ناتجًا عن إعجاب صادق بالمدوح، أو بما قام به من عمل حسن⁽¹⁰⁵⁾. وفي خضم هذه الفرحة العارمة، يحذر ابن جبير في أبيات شعرية من الخطر الذي ما زال جاثمًا وقريبًا من الشام

وبيت المقدس، حتى بعد الفتح الصلاحي، فإن مراقبة رحالتنا للأحداث وعدم استسلام الصليبيين للهزيمة وتجهيزهم لحملة صليبية جديدة جعلته يتوجس خيفة، وهذا ما استوجب عليه في ما رأى أن يسطر شعراً قائلاً:

بني الإسلام جدوا في الجهاد **بسمر الخط والبيض الحداد**
وبيعوها فربكم اشتراها نفوساً تربحوها في العباد
عدوكم بعقركم مقيم ليس تولى على ملك البلاد
وبيت القدس يفرق كل يوم حذاراً أن يعود إلى الأعادي
وشارك أدباء الأندلس في مدح صلاح الدين مبددين غبطتهم بعمله
الجليل، ومنهم الشاعر الأديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي
الذي نظم قصيدة في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جاء فيها:
وفي سهوات المقربات وفي القنا حصون حمى لا في هضاب المعازل
ومنها:

ولا ملك يأتي كيوسف آخرًا كما لم يجيء مثل له في الأوائل⁽¹⁰⁶⁾
وعلاوة على ذلك كان لأشهر علامة الأندلس الطبيب أبو الفضل
عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني (ت 603هـ/ 1206م) مصنفات
شعرية وأدبية طرز فيها الكثير بمدح صلاح الدين، والثناء على جهاده،
وتصديه للصليبيين، والتبشير بفتوحاته، من تلك المصنفات ديوان (روضة
المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) فضم أبيات مبشره بما قبل فتح
بيت المقدس وبعد الفتح لصد خطر العدوان الصليبي الذي يجول بأساطيله
عباب البحر، فمن مبشرات الفتح الصلاحي وأن أهمية فتحه كأهمية فتح
مكة المكرمة والقضاء الشرك قوله في قصيدة:

فشؤم فريق الشرك في الشام طائرٌ فقص جناحيه بأقصى القوى قصما
إذا صفرت من آل أصفر ساحة آل بمقدس ضاهت فتح أم القرى قدما
فذا المسجد الأقصى وهمتك العلا وعزمتك القصوى ورميتك الصما
وليس كفتح القدس منية قادر وما إن تلقاها سوى يوسف جزما⁽¹⁰⁷⁾
وعندما تم الفتح فاضت طبيعته الشعرية في الثناء على قائد الفتح قائلاً:
أحيا به الله مصرًا فهي ناشرة وافتكها من عدو ما به قبل
كم للفرنج بها وردًا ومنتجعًا ونارهم حولها تذكو وتشتعل
فأطفأ الناصر المنصور جذوتهم وأدبروا بقلوب: شهمها وجل⁽¹⁰⁸⁾

وكان السلطان صلاح الدين يحترم الجلياني ويجله، فاستضافه في مجلسه
السلطاني مع كاتبه الوزير القاضي الفاضل⁽¹⁰⁹⁾ (ت 595هـ/ 1200م)، ففي ذات
مرة أراد القاضي أن ينال من الجلياني مازحًا بحضرة صلاح الدين فسأله:

كم بين جليانة وغرناطة؟ فقال له: مثل ما بين بيسان وبيت المقدس؟⁽¹¹⁰⁾ ويعلق (أحد الباحثين) على هذه القصة فيذكر أن الموضوع في ظاهره جغرافي، وفي حقيقته حضاري، أراد القاضي الفاضل أن يقول للجلياني: أنت من قرية صغيرة مغمور، فأجابه بمثل ما ألغز إليه، وأشار إلى مسقط رأس القاضي الفاضل وهي مدينة بيسان، وفرق بعيد بين بيسان وبيت المقدس⁽¹¹¹⁾، كما عمل الجلياني طبيباً في المارستان السلطاني في السفر والحضر أيام صلاح الدين وبعده حينما استقر في دمشق. ويشير (عبدالمجيد الفران) أن هناك نوعاً من الصلات قامت بين فلسطين وبلاد المغرب والأندلس، تلك الصلات لم تنقطع حتى مع وقوع فلسطين تحت الاحتلال الصليبي بعد عام (492هـ/ 1099م) واستمرت تلك الصلات حتى تم دحر ذلك الاحتلال لتعود أقوى من ذي قبل، حيث شارك المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين⁽¹¹²⁾ فيعتبر عودة النشاط العلمي والصلات بين الإقليميين آثار الفتح الصلاحي؛ حيث هاجر ورحل عدد من فقهاء الأندلس إلى القدس وعاشوا فيها إلى وفاتهم، وتقلدوا فيها مناصب مهمة، وضربوا جذورهم في الأرض، فكتبت لهم الأقباس، وأقام بعضهم أوقافاً؛ مثل أبي الحسن علي بن محمد بن جميل المعافري (ت 605هـ/ 1208م) الذي هاجر من مالقة بعد الفتح الصلاحي إلى القدس، فالتمس صلاح الدين إماماً وخطيباً، فأجمع عدد من العلماء الأفاضل على أنه لا أحق من ابن جميل المعافري؛ لما عرف بحسن صوته، وأعرفهم بالقراءات العشر، فعينه صلاح الدين وأوقف عليه داراً وأرضاً وبستاناً، ولقب بالحاج المالقي⁽¹¹³⁾، ومن الأندلسيين الذين تولوا مشيخة المسجد الأقصى أبو بكر محمد بن أحمد البكري الشريشي المالكي (ت 685هـ/ 1286م) وكان من أهل شريش، وعرض عليه القضاء لكنه رفض، ثم انتقل إلى دمشق وتوفي فيها برباط الملك الناصر⁽¹¹⁴⁾، ولما رأى السلطان الأفضل بن صلاح الدين (566- 622هـ/ 1171-1225م) كثرة عدد الأندلسيين والمغاربة، ومشاركتهم العلمية ومكانتهم أنشأ لهم حياً خاصاً بهم منسوباً إلى أصولهم المغربية، وموقوفة عليهم، وفيها سكنهم، وتعد حارة المغاربة من أشهر حارات مدينة القدس، وتقع إلى الغرب من المسجد الأقصى، وسمي أحد أبواب المسجد الأقصى الثمانية (باب المغاربة) وهو نسبة إلى حارة المغاربة وجامعها⁽¹¹⁵⁾، وكان للأهل الغرب الإسلامي إسهامات في الأوقاف على حارة المغاربة ومن أشهرها وقف قرية عين كارم، التي أوقفها الغوث أبو مدين التلمساني (ت 594هـ/ 1198م)، وكتب على العين نص الوقف ومستحقه «هذا ما أوقفه الغوث أبو مدين.... على مجاهدي المغرب ومرابطي المغرب وطلبة المغرب وعلماء المغرب والحجاج

المغاربة الزائرين العابرين»⁽¹¹⁶⁾ واستمرت أوقاف المغاربة في الدولة الأيوبية وما بعدها وقد أفرد (عبدالهادي التازي) كتابه (أوقاف المغاربة في القدس وثيقة تاريخية سياسية قانونية) تتبعها عبر تلك العصور وسجل تاريخها وأصحابها وما أوقفت عليه).

النتائج :

تبين من الدراسة أن خبر الفتح كان له نصيب وافر في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي وفي مصنفاتهم، فلم يكن سرد الخبر الذي تبيان بين الإطالة والإيجاز كافيًا، بل أظهر بعضهم احتفاءهم بهذا الخبر، في حين كان لبعضهم تحفظ على إبداء الفرحة نظرًا لقربه من السلطة الموحدية، ورغم رفض الأخيرة تقديم العون لصالح الدين بأسطولها البحري بعد الفتح ضد العدوان الصليبي بسبب التوترات السياسية والمذهبية بينها وبين الخلافة العباسية الذين يستظلون الأيوبيون تحت شرعيتها، فإن عمق الرابطة بين المشرق والمغرب جعلت أبناء المجتمع المغربي يتغنون بقصائد شعرية في مدح صلاح الدين والثناء على بطولاته، وعده بعضهم (إمام بلد الإسلام) وغيرها من الألقاب التشريفية التي نعت بها السلطان الأيوبي.

واتضح من الدراسة أن محاولات صلاح الدين لرأب الصدع في العلاقات بينه وبين الخليفة المنصور الموحي لم تنجح ولم يستطع صلاح الدين الحصول منها على مراده. لكن المنصور لم تفته فرصة تكريم السفارة الأيوبية ورئيسها الأمير ابن منقذ، لثلاثة بواعث؛ الأول التزامه بالأعراف الدولية وهو حسن معاملة السفارة، والثاني يطيب خواطر من يهمل الأمر من المسلمين، وآخرها حتى يتجنب رد المنتقدين على عدم الاستجابة لطلب صلاح الدين، وكشفت الدراسة أن من نتائج الفتح رحلات وهجرات مغربية وأندلسية كثيرة إلى بيت المقدس لزيارتها والصلاة فيه أو للعلم، وحظوا بتقدير ورعاية من الدولة الأيوبية؛ لمكانتهم في العلم والجهاد حتى خصصوا لهم حيًا على اسمهم يسمى (حي المغاربة) و(جامع المغاربة)، وأيضًا أطلق على أحد أبواب المسجد الأقصى باب المغاربة.

المصادر والمراجع:

- (1) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ): **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1416هـ/1996م)، ج 8، ص 296-297.
- (2) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، دمشق، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الإسراء والمعراج، رقم (3886)، ج 5، ص 52.
- (3) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ): **صحيح مسلم**، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، رقم (259)، ج 1، ص 145.
- (4) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م، رقم (27626)، ج 45، ص 597؛ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 261هـ)، **سنن ابن ماجه**، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، رقم (1407)، ج 1، ص 451.
- (5) البخاري، **الصحيح**، رقم (3366)، ج 4، ص 145؛ مسلم، **الصحيح**، رقم (520)، ج 1، ص 370.
- (6) البخاري، **الصحيح**، رقم (1197)، ج 2، ص 61؛ مسلم، **الصحيح**، رقم (1397)، ج 2، ص 1014.
- (7) ابن حنبل، **المسند**، رقم (26558)، ج 44، ص 18.
- (8) ياقوت، **معجم البلدان**، ج 8، ص 296-297.
- (9) المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (ت 507هـ): **البدء والتاريخ**، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ج 3، ص 52-53، 63-69؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون**، بيروت: دار القلم، 1984م، ج 2، ص 9-14.
- (10) المائدة: 21.
- (11) فهمي توفيق مقبل، **إثبات حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين تاريخياً ودينياً ينفي ادعاء اليهود حقهم فيها**، الإسكندرية، المكتبة المصرية، 1422هـ/2001م، ص 33-34؛ رمضان إسحاق الزيان، **روايات العهد العمري دراسة توثيقية**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، غزة، مج 14، العدد الثاني يونيو (2006م)، ص 179.
- (12) وردت تسمية بيت المقدس بـ(إيلياء) في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء». انظر: مسلم، **الصحيح**، رقم (513)، ج 2،

ص 1015، ووردت في العهدة العمرية أيضًا. انظر: الواقدي، أبو عبد الله بن عمر (ت 207هـ): **فتوح الشام**، عمان: مكتبة المحتسب، د.ت، ص 241-242؛ اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب (ت 284هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: د.م، 1980 م، ج 2، ص 348.

(13) عبد الهادي التازي، مقدمة تحقيق كتاب **المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، لابن صاحب الصلاة أبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت 594هـ)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص 12-18؛ عادل يحيى عبد المنعم، «**خصائص الكتابة التاريخية المشاركة عند اثنين من مؤرخي البلاد الموحديين صاحب الصلاة المتوفى وأواخر المائة 6هـ / 12 وابن القطان المتوفى منتصف ق 7هـ / 13م**»، مجلة المؤرخ العربي، العدد الأول، المجلد الأول 2020م، ص 250-252

(14) ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (ت 670هـ): **نظم وترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود مكّي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 217-221.

(15) شلب: مدينة في الجنوب الغربي تطل على جبل عظيم، اشتهرت بالجنات والغلات والوديان، عرفت بزراعة التفاح، كانت من أهم مدن الأندلس، استولى عليها المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية زمن ممالك الطوائف وولى عليها ابنه المعتمد، ومن أعلامها الشاعر أبو بكر بن عمار. انظر: الحميري، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت 626هـ): **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، بيروت، دار صادر، د.ت، ص 342

(16) القراقيز أو (القراقير): وهي السفن العظيمة أو الطويلة، ومفردها قرقور، مادة (قرر). انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ): **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ت، ج 5، ص 90

(17) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ) **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف، تونس دار الغرب الإسلامي، 1434هـ / 2013م، ج 3، ص 304.

(18) نزع الشيء أي اقتلعه، وانتزع الرمح اقتلعه، وتأتي على نحو الاستلاب كما ذكر سيبويه، وقيل في تفسير قوله تعالى: {والنازعات غرقا}؛ إن الملائكة تنزع روح الكافر فيشتد عليه أمر خروج روحه. مادة (نزع) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج 8، ص 350-351

(19) استغل النصاري الظروف السياسية والعسكرية المضطربة، فقد كان الخليفة الموحي بعيداً في المغرب تشغله أحداث إفريقية والصراع مع بني

غانية، ومؤامرات الخوارج، وهذا ما تعذر معه أن يبعث جنداً إلى الأندلس، وكانت القوات الموحدية في الأندلس قليلة العدد والعُدَد، ولا تكفي لدفع العدوان من مملكة قشتالة أو مملكة البرتغال. للاستزادة انظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)**، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1386هـ / 1966م، ج4، ص 168-172.

(20) هو أبو الحجاج يوسف بن عمر الإشبيلي، ولد ونشأ في إشبيلية في منتصف القرن السادس الهجري، هاجرت أسرته الأموية من مدينة قرطبة إلى إشبيلية بعد سقوط الخلافة، انخرط في السلك الإداري الموحيدي، وعمل كاتباً ومؤرخاً للبلاط، تعرض لوشاية وصُودِرَت أملاكه واتهم بسرقة أموال خزينة الدولة، وبعد تحقيقات أظهرت براءته أطلق سراحه وعين قاضياً بعدها. انظر: ابن الآبار أبو عبد الله محمد القضاءي (658هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عزت العطار الحسيني، (القاهرة - بغداد: مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، 1375 / 1956م)، ج2، ص 643؛ ابن عذاري، **البيان**، قسم الموحدين، ص 220-225؛ ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت 741هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، دار المنصور، 1973م، ص 251.

(21) ابن عمر، أبو الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي (ت القرن 7هـ / 13م)، **نصوص من روايات كتاب تاريخ الموحدين أولاد عبد المؤمن بن علي الضائع**، جمع وتحقيق: أكرم حسين غضبان، مجلة آداب البصرة، العدد (71) 2014م، ص 145.

(22) ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص 251.

(23) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ / 1979م، ص 98.

(24) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630هـ): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ج 9، ص 19-21؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، بيروت، مكتبة المعارف، د.ت، ج 12، ص 156-157.

(25) مؤلف مجهول، **الحلل**، ص 98.

(26) عيذاب: ميناء على بحر القلزم (البحر الأحمر) ترسو فيه السفن القادمة من اليمن ومصر. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج4، ص 171.

- (27) إردب: مكيال قديم استعمل في الأقاليم الإسلامية لوزن المكايل الكبيرة يساوي اليوم 48 كيلو غرامًا. انظر: ابن منظور، لسان، ج 5، ص 396، علي جمعة محمد، المكايل والموازين الشرعية، القاهرة، القدس للنشر والإعلان، 1421هـ / 2001م، ص 39.
- (28) قفيز: مكيال تكال به الحبوب وغيرها، تختلف تقديراته حسب البلد، فهناك القفيز المصري، والإشبيلي والعراقي، والجمع أقفزة، يعادل أربعة وعشرين كيلو غرامًا. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 396؛ علي جمعة، المكايل، ص 39.
- (29) هو أبو محمد مكثرب بن عيسى بن فلتة بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسني، تقلد إمارة مكة سنة (571هـ) إلى حين وفاته سنة (589هـ)، وبموته انقرضت دولة الهواشم بمكة. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 77.
- (30) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614هـ): تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المسماة رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، د. ت، ص 54-55، 257.
- (31) ابن جبير، رحلة، ص 270.
- (32) ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (ت 703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2012م، ج 3، 512؛ ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2003م، تحقيق: يوسف علي الطويل، ج 2، ص 146.
- (33) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل، ج 4، ص 32.
- (34) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص 61-63.
- (35) الحاج غيدي ومراد عريبي، دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحيدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدكتور بحي فارس بالمدينة، (الجزائر، 1436-1437هـ / 2015-2016م)، ص 70.
- (36) ابن جبير، رحلة، ص 234-236.
- (37) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت 779هـ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، بيروت، دار إحياء العلوم، 1407هـ / 1987م، ج 1، ص 75.

- (38) الأصفهانى، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد (ت 597هـ):
**حروب صلاح الدين فتح بيت المقدس المسمم بالفتح القسي في الفتح
 القدسي**، بيروت، دار إحياء العلوم، 1407هـ / 1987م، ص 295؛ ابن الأثير،
 الكامل، ج 10، ص 211؛ ابن واصل، أبو عبد الله محمد بن سالم التميمي
 (ت 697هـ): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين
 الشيال و آخرون، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية والمطبعة الأميرية،
 1377هـ / 1957م، ج 2، ص 275.
- (39) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ): **المختصر في
 أخبار البشر**، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج 3، ص 132؛ ابن كثير، عماد الدين
 إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 747هـ): **البداية والنهاية**، بيروت،
 الرياض، مكتبة المعارف، مكتبة النصر، 1996م، ج 13، ص 83.
- (40) محمد يوسف عمر عابد، **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة
 نقدية مقارنة (-750 726 هـ / -1326 1349 م)**، رسالة ماجستير غير
 منشورة، جامعة أم القرى، مكة، 1406هـ / 1996م، ص 80-81.
- (41) البلوي، خالد عيسى (ت 780هـ)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق
 المسماة رحلة البلوي**، تحقيق: الحسن السائح، أبوظبي المغرب، اللجنة
 المشتركة لصندوق إحياء التراث الإسلامي، د.ت، ج 1، ص 246-248.
- (42) رعد علي الزبون، **بيت المقدس في أدب الرحلات المغربية رحلة
 أنموذجاً**، مجلة العالمية الإسلامية للدراسات الإنسانية، جامعة العلوم
 الإسلامية العالمية، الأردن، مج 27، ص 238.
- (43) البلوي، **رحلة**، ج 1، ص 246-248.
- (44) البلوي، **رحلة**، ص 248-266.
- (45) في عهد الظاهر بيبرس والسلطان المملوكي محمد قلاوون (709-741هـ /
 1309-1341م) المعاصر للبلوي الذي بسط القول عن جهوده في هذا
 المضمار، ولكنه وقع في خطأ تاريخي حينما لقبه بالملك المنصور والأخير
 كان حكم من عام (-689 678 هـ / -1279 1290 م) وترميم قبة مسجد
 الصخرة كان في عام (718 هـ / 1319 م) أي ضمن سنوات عهد الناصر محمد
 قلاوون وليس المنصور الذي لم يعاصره البلوي، وشهدت القدس كثيراً من
 الإصلاحات في العصرين الأيوبي والمملوكي. للاستزادة انظر: صفوان خلف
 التل، **أثار وتاريخ الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي (-564
 648 هـ / 1165 م)**، رسالة ماجستير غير منشورة (الأردن: الجامعة الأردنية،
 نيسان 2002م)، ص 32-85؛ خليل عثمانة، **فلسطين في العهدين الأيوبي
 والمملوكي (1187-1516م)**، د.م، دن، د.ت، ص 399-440

- (46) الأصفهاني، الفتح، ص 295-296.
- (47) نوال فرحان محمد الخالدي، منهج ابن الخطيب التاريخي في كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة الرياض: جامعة الملك سعود، 1429هـ / 2008م، ص 101.
- (48) ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: سيدكسروي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج1، ص 268.
- (49) ابن الخطيب، أعمال، ج1، ص 269-270.
- (50) داحس والغبراء: حرب في الجاهلية بين قبائل غطفان (عبس وذبيان) وسببها فرسان هما داحس لصاحبها قيس بن زهير، والغبراء لصاحبها حذيفة بن بدر بينهما سباق، وكان من المتوقع أن تفوز داحس، لكن رجلاً من ذبيان وضع كميناً له، فجعله ذلك يعدل عن طريق الفوز وفازت الفرس (الغبراء)، دامت الحرب أربعين سنة وانتهت الحرب بعدما تدخل سيدان من قبيلة ذبيان هما (هرم بن سنان والحارث بن عوف) بدفع ديات القتلى. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج1، ص 513-516.
- (51) (51) حرب الفجار: هي حرب نشبت في الجاهلية بين قبيلة كنانة من قريش وبين قبائل قيس عيلان (هوازن وغطفان وسلم) وانتهكت فيها حرمة الأشهر الحرم، وقطعوا الصلات والأرحام؛ لذا سميت حرب الفجار، وعلى إثرها أقيم حلف الفضول. انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، حلب، مطبعة البابي الحلبي، 1375هـ / 1955م، ج1، 184-186.
- (52) حلف الفضول: حلف أقامته قريش قبل البعثة عقب حرب الفجار لنصرة المظلوم أيًا كان من أهل مكة أو غيرها، اشتركت فيه بطون قريش (بنو هاشم) و(بنو زهر) و(بنو أسد) في دار عبد الله بن جدعان، وتعاهدوا أن يكونوا مع المظلوم حتى يرد إليه حقه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)). انظر: ابن هشام، السيرة، ج1، ص 133-134.
- (53) ابن الخطيب، أعمال، ج1، ص 268-270.
- (54) المصدر نفسه، ج1، ص 271-274.

- (55) المصدر نفسه ، ج1، ص 271-274.
- (56) (56) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ): **المقدمة**، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت ، المكتبة العصرية، 1431هـ / 2010م، ص 329-330.
- (57) ابن خلدون، **العبر**، ج3، ص 2109-2110.
- (58) المصدر نفسه ج3، ص 2124-2125.
- (59) المصدر نفسه ، ج3، ص 2110.
- (60) المصدر نفسه ، ج3، ص 2108-2109.
- (61) **الناصرى السلوى**، أحمد بن خالد (1314هـ): **الاستقصا في خبر دول المغرب الأقصى**، الدار البيضاء ، دار الكتاب، 1418هـ / 1997م، ج2، ص 182.
- (62) الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص294؛ ابن واصل، **مفرج**، ج2، ص 230؛ أبو شامة، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1418هـ / 1997م، ج3، ص 400.
- (63) بغداد: مدينة بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (145هـ) في وسط العراق على نهر دجلة، وجعلها عاصمة للخلافة العباسية، وتدعى أيضاً مدينة السلام، كانت مقراً للعلماء والفقهاء وطلاب العلم، ومركزاً للآداب والفنون، اجتاحتها المغول سنة (656هـ). انظر: **ياقوت، معجم البلدان**، ج1، ص 458.
- (64) سورة النور: 55؛ الأصفهاني، **الفتح**، ص 82-85؛ ابن واصل، **مفرج**، ج3، ص 324-325؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج3، ص 346-347.
- (65) الأصفهاني، **الفتح**، ص 101-102.
- (66) أران: اسم أعجمي لولاية واسعة شمال بلاد فارس تقع بين أرمينية وأذربيجان، وبينها وبين أذربيجان نهر الرس، من مدنها ييلقان وجنز، سكنها الخز، ينسب إليها الفقيه عبد الخالق بن أبي المعالي بن محمد الشافعي. انظر: **ياقوت، معجم البلدان**، ج1، ص 136.
- (67) أذربيجان: إقليم جبلي واسع يطل على بحر قزوين، أشهر مدنه تبريز، فيه قلاع كثيرة وخيرات وبساتين واسعة، تشتهر بزراعة الفواكه، وتمتاز بغزارة عيونها ووفرة المياه، فتحها المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- عام (22هـ) عنوة، احتفظ التاريخ لها بأحداث سياسية وحضارية عبر العصور. انظر: **ياقوت، معجم البلدان**، ج1، ص 128-130.
- (68) العماد الأصفهاني، **الفتح**، ص 99؛ ابن واصل، **مفرج**، ج1 ص 496-500؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج3 ص 120.

- (69) المقرئزي، أحمد بن علي (ت 845هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1934م، ج1، ص 124. Marshal Baldwin, the decline and falloff Jerusalem, in setton, vol, I, p620
- (70) . Setton, k.M, **A Histiry of the Crusades** , vol , I, America, 1458. p620 . Dogler, (Franz) ed , Regesten, 3 vols , Munich, Berlin 1924 32- , p 98
- (71) ومن أسباب الصراع بين الدولة البيزنطية والصليبيين أن الأولى على المذهب الأرثوذكس وتكره الصليبيين اللاتين الكاثوليك، وكانت الاتصالات بين الأيوبيين وبين الأرثوذكس من سكان بيت المقدس عن طريق اثنين من السفراء البيزنطيين، أحدهما جوزيف باتيت، والثاني يدعى ميلكيتس. انظر:
- (72) Brand, C.M, the Byzantine and Saladin , vol 37, p171 . Dogler , Regesten, , no1607 , p 98,
- (73) الري: مدينة تقع شمال خراسان جنوب بحر قزوين على سفوح جبال البوزر في وادي خصيب، اشتهر بزراعة الفاكهة والتجارة، كانت مركزاً سياسياً وإستراتيجياً مهماً في العصر العباسي لوقوعها على طريق بغداد خراسان، خرجت كثيراً من العلماء؛ مثل أبي بكر الرازي. انظر: **معجم البلدان**، ج3، ص 116-112.
- (74) همدان: مدينة في غرب خراسان على سفح جبل الوند الشمالي الشرقي، تهيمن المدينة على السهل الخصب الواسع لأعلى نهر قاره، كانت مدينة مهمة لوقوعها على الطريق التجاري بين العراق والشرق في العصر السلوقي، شهدت أحداثاً كثيرة بين السامانيين والبوحيين ومن بعدهم السلاجقة، وغزاه المغول عام (621هـ). انظر: **معجم البلدان**، ج5، ص 410-413.
- (75) فتمكن من استرداد عدد من المناطق عقب سقوط الدولة الفاطمية عام (567هـ / 1169م)، بعد أن قتل سلطانهم طغرل الثالث بن أرسلان الذي حكم حقبتي: الأولى (-572 588هـ / -1176 1191م) والثانية (588-590هـ / -1192 1194م). انظر: **العماد الأصفهاني، الفتح**، ج1، ص 83؛ ابن واصل، **مفرج**، ج1، ص 218.
- (76) مرسية (Murcie): مدينة بالأندلس في الشرق من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم، وتشتهر بمزارعها وحدائقها. انظر: **معجم البلدان**، ج5، ص 107.
- (77) الأصفهاني، **الفتح**، ج1، ص 83؛ ابن واصل، **مفرج**، ج1، ص 218؛ ابن

- شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت 632هـ): **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين شيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1384هـ / 1994م، ص 86
- (78) (المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس**، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، 1426هـ / 2006م، ج 1، ص 284
- (79) ابن جبير، **رحلة**، ص 51.
- (80) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدي، ويقال له: مهدي الموحدين، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية، وهو من قبيلة هُرْغَة من المصامدة من قبائل جبل السوس، بالمغرب الأقصى. وتنتسب هرْغَة إلى الحسن بن علي، توفي عام (524هـ / 1130م). انظر: ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص 172-178
- (81) المراكشي، **المعجب**، ص 164، 207.
- (82) البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 559هـ): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م)، ص 34-38، ابن القطان، **نظم الجمان**، ص 67، 111-112؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: عواد معروف وميحي السرحان، بيروت، مؤسسة السرحان، 1417هـ / 1996م، ج 19، ص 539-552.
- (83) محمد بن تقي الدين الأيوبي صاحب حماة (ت 617هـ): **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، 1401هـ، ص 34، المراكشي: **المعجب**، ج 2، ص 233، المقرئزي، **السلوك**، ج 1، ص 175
- (84) هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ ولد في شيراز عام (523هـ) وتوفي عام (600هـ) في القاهرة، وله نظم ونثر. انظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، بيروت، دار صادر، 1994م، ج 7، 12-13
- (85) مؤلف مجهول، **رسائل موحدية (مجموعة جديدة)**، تحقيق: أحمد عزايوي، (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1416هـ / 1995م)، ج 1، ص 182-190، ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص 331، الناصري **السلوي، الاستقصا**، ج 2، ص 182.؛ انظر الملحق رقم (1)

- (86) القلقشندي، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1340هـ / 1922م، ج 6، ص 529-526؛ انظر الملحق رقم (1) انظر الملحق رقم (1)
- (87) أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص 171؛ انظر الملحق رقم (2)
- (88) مؤلف مجهول، **كلام المحقق، رسائل موحدة**، ج 2، ص 62.
- (89) عبد المجيد جلوان، **هذه مراکش**، القاهرة، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، 1949م، ص 30-31.
- (90) ابن عذاري، **البيان**، ج 3، ص 314.
- (91) ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص 247-248؛ **الناصري السلاوي، الاستقصا**، ج 2، ص 182-183.
- (92) ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص 247؛ **الناصري السلاوي، الاستقصا**، ج 2، ص 182.
- (93) أبو شامة، **الروضتين**، ج 2، ص 62؛ **الناصري السلاوي، الاستقصا**، ج 2، ص 182-184.
- (94) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1420هـ / 2000م، ج 1، ص 276.
- (95) (94) المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1388هـ / 1968م، ج 3، ص 102. **الناصري السلاوي، الاستقصا**، ج 2، ص 182-184.
- (96) الروم: 1-4.
- (97) ابن برجان، عبد السلام بن عبد الرحمن بن حمد اللخمي الإشبيلي (ت 536هـ): **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم المعروف بتفسير ابن برجان**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1434هـ / 2013م، ج 4، ص 322-326.
- (98) دمشق: مدينة من أشهر مدن الشام، اشتهرت بكثرة الأنهار، أرض مستوية تحيط بها الجبال الشاهقة كجبل قاسيون، فيها آثار الأنبياء والصالحين وحضارات قديمة، فتحها المسلمون عام 14هـ، من أشهر معالمها الجامع الأموي، كانت مركز إشعاع للحضارات القديمة والإسلامية. انظر: **ياقوت، معجم البلدان**، ج 2، ص 468-463.
- (99) ابن الزكي: هو محيي الدين محمد بن علي بن يحيى بن الزكي القرشي، ولد عام (550هـ) كان أبوه وجده قاضيين، عرف بأمانته العلمية

- وفضله، درّس في المدرسة النورية وكان ينهى طلابه عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام، كان قاضي دمشق قاضي لحلب وطلب من صلاح الدين ألقى أول خطبه في المسجد الأقصى يوم الجمعة وهي خطب التحرير، توفي عام (598هـ). انظر: الذهبي، سير، ج21، ص 359-360.
- (100) حلب: مدينة في الشمال الشرق من بلاد الشام واسعة كثيرة الخيرات يزرع فيها القطن والسمسم والدخن والتفاح وغيرها، كثيرة الأمطار، كانت مركزاً سياسياً وحضارياً لكثير من الحضارات. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 282-285.
- (101) ابن خلكان، وفيات، الذهبي، سير، ج 21، ص 359-360.
- (102) المقري، نفح، ج7، ص 136-138
- (103) منجد مصطفى بهجت، ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي، الرياض، دار اليمامة، 1420هـ/2000م، ص 67.
- (104) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل، ج3، 506-507، المقري، نفح، ج2، ص 383.
- (105) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل، ج3، ص 507.
- (106) فردوس أحمد بت العمري، «الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي شاعراً»، مجلة أقلام الهند مجلة فصلية إلكترونية محكمة، العدد الثالث، (أكتوبر - ديسمبر 2016م)، ص 23.
- (107) المقري، نفح، ج2، ص 99.
- (108) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص129؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 403-405؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 448-451
- (109) أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 81.
- (110) هو عبد الرحيم البيساني، ولد بعسقلان عام (526هـ)، رحل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة ودرس الأدب البلاغة، صاحب صلاح الدين في جهاده وحملاته، وكان مستشاراً له وكاتبه الخاص لبلاغته وفصاحته، فشهد له بالحكمة وحسن الإدارة؛ إذ قال فيه: «لا تظنوا أنني فتحت الأرض بسيفكم بل بقلم القاضي الفاضل»، اشتهر بزهد وتعبده، مات بعد 70 عاماً من جهاد القلم والسيف. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج3، ص 161-162.
- (111) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى الأندلسي (ت 685هـ) : الغصون الياضنة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص 108
- (112) محمد رضوان الداية، من الأندلس إلى بيت المقدس (الأندلسيون في فلسطين وفي رحاب المسجد الأقصى)، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011، ص 215

- (113) عبدالمجيد الفران ، **صلات المغرب والأندلس بفلسطين في العصر العباسي (-492 132هـ / -1099 750)** ، دورية كان التاريخية ، السنة العاشرة ، -العدد 36، القاهرة ، 2017م ، ص 164 .
- (114) ابن الأبار ، **التكملة** ، ج3 ، ص222
- (115) المقرئ، **نفح**، ج2، ص627.
- (116) الحنبلي ، عبدالرحمن بن محمد العليمي (ت 928هـ) : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، تحقيق عدنان نباته ، عمان ، مكتبة دنديس ، د.ت ، ج2، ص 46-47
- (117) المقرئ ، **نفح** ، ج7، ص 136-138
- (118) للاستزادة انظر عبدالهادي التازي ، **أوقاف المغاربة في القدس وثيقة تاريخية سياسية قانونية** ، مطبعة فضالة - المحمدية ، المغرب ، 1981م .

ملحق رقم (1) رسالتان من صلاح الدين الأيوبي

إلى الخليفة المنصور مستنجداً ضد النصارى نقلها مؤلف (رسائل
موحدية) فالرسالة الأولعن كتاب (صبح الأعشى)

«فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا
والدين ، أبواب الميامن ، وأسباب المحاسن ، وأحله من كفايته في الحرم الآمن ،
وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كل رأي عليه الهوى
رائن ، ومكن له في هذه البسيطة بسطة ، وزاده بالعلم غبطة ، حتى يكون
للانبياء بالعلم وللارض بالعزم وارثا ، وحتى ، يشيد بحادث : من مجده الذي
لا يزال بغض الحديث حادثا ؛ كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند . عند
ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا ، وأن نتيمن ونتزين : بمخاطبتها
، وتنهض اليها أمائل الأصحاب ، ونستسقي معرفتها استسقاء السحاب :
ونتجمعها بالخواطر الكتب رسلها ، وأيدي الرسل سيلها ، ونمسك طرفا من
حبل الجهاد يكون بمكانيتها أعداء بيد حضرة سيدنا العالوية طرفه ، ونمسح
غرة سبق وارتها ووارث نورها سلفه ؛ ونتجاذب أ وتجعل ال من الجانبين ،
لا سيما بعد أن ثنا عنه نيابتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية
واليمينية من ضلالة أغضت عيون الأيام قذاها ، وأنامت عيون الأنعام بائعة
يقظتها بكراهل ؛ ونيابة ثانية في تطهير بيت إلا بيناء ضلاله تأسيسه ؛ وما
كان وأعقدهم فيها إبليس الكفر وما أجارته ولا لنا على الخلق منة بل الله
المئة . الانجيل المحيط ، وطهره واستجاش ظاهرنا علينا وان صدره وبذات
اليمين والشمال ، أبطال الباطل ، طواغيهم ، ولا أثفية من أثافيههم ؛ بنفسه أو
بولده ، وبعده وبعده ، وبذات بحرا ، وبالأقوات للخيال والرجال ، والاسلحة
والجنن الجمع ، والتلاف وصفيهما في النفع ، وأنهض ، وحاف وناعل ، ومواقف
ومقاتل ، كل خرج متطوعاً ، وأهطع مسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه أن
يستدعي ، وسعى إلى حتفها قبل أن - مستسعى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا
يسا ، وحتى تيقنا ان ما وراء البحر قد خلا وعسل ، وقلنا كيف أي منذ
استيلائه على السلطة من يد الفاطميين تترك ، وقد علم أنه يدرك ، وزادت
هذه الحشود المتوافية ، وتجاغت عنها الهمم المتجافية ، وكثرت إلى أن خرجت
من سجن خصرها ، ومستقر كفرها ، وبقية ثغرها - وهو صور ، فنازلت ثغر

عكا في اسطول ملك يحره ، وجمع سلك بره ؛ فنهضنا إليه ، ونزلنا عليهم وعليه ، فضرب معنا مصاف فرسالة ، وجذلت شجاعانه ، وتحذلت صلبانه ، وساوى الضرب بين حاسر القوم ودراعهم ، وبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ؛ فهناك لاذوا بالخنازق يحفرونها ، وإلى الستائر ينصبونها ، وأخذوا إلى امتثالين ، وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين ، وظاهروا بين الخنادق ، وراحوا بين المجانق ، وكلما يجن القتل من عددهم مائة أوصلها البحر ممن يصل وراءه بألف ، وكلما في اعيننا في : كثروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن ذربة عساكرنا في كذربتها في البر لعجل الله انتصاف ، واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالألف . وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم والعدد الدهم ، وكأنهم الى نصب يوفضون ، وعلى يعرضون ؛ ووصولهم على جهة القسطنطينية - يسر الله فتحها - على عزم الانتقام الى الشام في متسلخ الشتاء ومستهل الصيف ، والعساكر الاسلامية لهم تستقبل ، والى حربهم تنتقل ، فلا يؤمن على ثغور المسلمين ان يتطرق العدو اليهم واليها ، ويفرغ لها ويتسلط عليها ، » والله من ورائهم محيط « ، واذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقي المقيم ، فربما أضر بالاسلام انقسامها وثلمه والعياذ بالله التلامها . ولما تخض النظر زيده ، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده ، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة ، فإن عددها وافي وشطرها كاف ، ويمكنه - ادام الله تمكينه - ان يمد الشام منه بعد كثيف ، وحد رهيف ، ويعهد الى واليه ان يقيم الى ان يرتبع ويصيف ، ويمكنه ان يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه ان تطير ، ويعقل عباب بحره ان يغير ، ويعتقله في جزيرته ، ويجري اليه قبل جريرته فيذهب سيدنا وعقيه يشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها ، ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها ؛ فاذا نفذ طريقه وعلم الناس بموقده ، أوردوا واصدروا في مورده ، وشخص المسلم والكافر : هذا ينتظر بشرى البدار ، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار ، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار ؛ ولو بزقت عليه بازقة غربية لأغرقهم طوفانها ، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لتعقت فيهم بالشئات غربانها الاساطيل تغشي البحار ، وليالي من المراكب للقلاع قلوب ، و تحصره ، وما رأينا اهلا لهذه العزمة الا حضرة سيدنا ادام الله صدق محبة الخير فيه ، ان كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الاجابة ، ورغبة في الاناية

، ولاية لأمر المسلمين ، ورئاسة للدنيا والدين ، وقياماً لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ، وغضباً لله ولدينه ، وبذلاً لمذخوره في الذب عنه دون ما عوده ؛ والآن فقد خلا الاسلام بملائكته لما خلا الكفر بشياطينه ، وما أجلت السوابق الا لإطلاقها ولا أثلت الذخائر الا لإنفاقها ؛ وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جاراً من النهار ، واذا خفقت قلعوها خفقت الملاعين جنوب ، فهي بين ثغر كفر تعتقله ... تا المسلمين ! وتظل قلائد فيعلم معه ان سيف ظلها ، وبما يسكنه رجزها ، وبما يجرده من سيوفها المشركين لغربان الله خالد ؛ أعز من حرزها فيما : التي تقطع في الكفر وقد أوقدناه على : حضرة سيدنا ، وهو الداعي المسمع ، والمبلغ المقنع ، والمجيع المستجمع ، علمناه أمراً يسراً ، وبأنناه الصدر فكان وجهها ، وأودعناه السر فكان صدرأ»

ملحق رقم (2)

الرسالة الثانية عن كتاب (الروضتين لأبي شامة)

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من الفقير الى . المشية ، الممضي القضية ، واغنى من الملة بدراري الذراري فيه الشفاء والتبيان ، ايوب ، اما بعد ، فالحمد لله الماضي الذي استعمل عليها من استعمر به الارض ، النافلة والفرض ، وزان سماء اصطفاهم و يسرهم » وان الله على سيدنا محمد الذي انزل عليه كتابا صاحبها بالبنيان ؛ وعلى آله وصحبه الذين و اظهروهم ، ويسر بهم السبيل » ثم السبيل كارههم (....) « ربنا اغفر لنا ولإخواننا والورد ، و الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » ؛ وهذه التحية الطيبة الكريمة الصيبة الواجبة الرد ، الموجية للقصد ، العذبة الورد ، المتنفسة عن العنبر وقادة على دار الملك ومدار وجل الجلالة ، واصل الاصاله ، ورأس الرئاسة ونفس النفاسة ، وحكم الحكم وعلم العلم و وقيمه ، ومقدم الاسلام ومقدمه ، ومقتضى دين الدين ، ومثبت المتقين على اليقين ، ومعلي الموحدين على الملحين ، الله له النصره ، وجهاز تيسير الغسرة ، ورد له الكرة ، وبسط له باع القدرة ، وأوثق به حبل الالفه ، ومهد له درجات وعرفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا ، ولطفا حفيا جليلا ، ويسر عليه في سبيله كل . هو « اشد وطا وأقوم قيدا » تحية استنير منها الكتاب ، واستنير عنها الجواب ، وقد حفز حافزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكنا الى ان تتييسر الأسباب ، والآخر مرام عظيم ما كره اذا استفتحت به الابواب .

وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءه بفتح البيت المقدس وسكون الاسلام منه الى المقييل والمعرس ، وما فتح الله للإسلام من الثغور ، وما شرح لأهله . الصدور ، وما انزله عليهم من النور ، ولم يخل المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر ، حظات أنوار ذلك البدر ، ومطالعات أرسلت من تلك الجهة التي هي وان كانت غربية فان الغرب مستودع الانوار ، وكنز دينار الشمس ومصب انهار النهار ، جانبه يأتي سكون الليل ومستروح الاسرار ، وعنه يقلب الله الليل والنهار وان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ، ولم تتأخر المكاتبة ليتم الله ما بدأ من فضله ، وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله ؛ والمفتتح بيد من الشام مدن وامصار ، وبلاد كبار وصغار ، وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل ، وللإسلام معاقر ، وليني الكفر مصانع ، وليني الاسلام مصار رع ، مدينة انطاكية امرها ، وفك يد الكفر أسرها والباقي بيد الكفر منها : واذا امن المؤمن ايجابها ، وما يتأخر من اسبجانه جوابها ، فالدعاء احد السلاحين ، ومع النية : وكره من السماء بجناحين ، بعد أن كسر

العدو الكسرة التي لم يجبر بعدها ، للحمير اعدھا لطف الله فیھا . ووحداناء
ملوكا ترتادهم ، ولا أرسانا ملكه اشخاصها وازدحمت فانفذھا النجاح مشیة
الرجاج ، لينصر دینا ، كراكب البحر ، بلا ساحل سلامة والی قاع كفر وجلب
الكفار الى المحصورین بالشام كل مجلوب ، وملأوا علیهم ثغریهم من كل مطلوب
، ما بین اقوات واطعمة ، وآلات واسلحة ، وشلة وجنة ، وحديد مضروب وزیرة
، ونقدي ذهب وفضة ، الكفار وشيانا ، وزرافات حتاجوا ولا یحتاج الى عزمة
العزیمة بحمد الله علی بریة ، ملأت الفجاج ، العجاج ، وامتطي من البحر ولا
یسرع الیه الجبر ، وراكب ذلك الدین»

المصادر والمراجع

- (1) ابن الأبار أبو عبد الله محمد القضاءي (658هـ): **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عزت العطار الحسيني، القاهرة - بغداد، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، 1375 / 1956م
- (2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630هـ): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ
- (3) ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت 741هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، دار المنصور، 1973م.
- (4) الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد (ت 597هـ): **حروب صلاح الدين فتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي**، بيروت: دار إحياء العلوم، 1407هـ / 1987م
- (5) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق محمد بن زهير بن ناصر الناصر، دمشق، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- (6) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله اللواتي (ت 779هـ): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، بيروت، دار إحياء العلوم، 1407هـ / 1987م.
- (7) البلوي، خالد عيسى (ت 780هـ)، **تاج المفرق في تحليل علماء المشرق المسماة رحلة البلوي**، تحقيق: الحسن السائح، أبوظبي، المغرب: اللجنة المشتركة لصندوق إحياء التراث الإسلامي، د.ت.
- (8) البيهقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 559هـ): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م
- (9) ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2003م
- (10) ابن الخطيب: **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- (11) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614هـ): **تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المسماة رحلة ابن جبير**، بيروت، دار صادر، د.ت.
- (12) الحميري، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت 626هـ): **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، بيروت، دار صادر، د.ت.

- (13) ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، **مسند الإمام أحمد** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1421هـ / 2001م
- (14) الحنبلي، عبدالرحمن بن محمد العلمي (ت 928هـ): **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، تحقيق عدنان نباته ، عمان ، مكتبة دنديس ، د.ت .
- (15) ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت 808هـ): **العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون** ، بيروت ، دار القلم ، 1984م .
- (16) 16- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ): **المقدمة**، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، 1431هـ / 2010م .
- (17) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، بيروت ، دار صادر، 1994م) .
- (18) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: عواد معروف وميحي السرحان، بيروت ، مؤسسة السرحان، 1417هـ / 1996م .
- (19) ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى الأندلسي (ت 685هـ) : **الغصون الياضنة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار المعارف ، د.ت .
- (20) أبو شامة، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت ، مؤسسة الرسالة، 1418هـ / 1997م .
- (21) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت 632هـ): **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين شيال، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1384هـ / 1994م .
- (22) ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت 594هـ): **المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين** ، تحقيق عبدالهادي التازي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1987م .
- (23) ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (ت 703هـ): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، تونس ، دار الغرب الإسلامي، 2012م .
- (24) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف، تونس ، دار الغرب الإسلامي، 1434هـ / 2013م .
- (25) ابن عمر، أبو الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي (ت القرن

- 7هـ / 13م)، **نصوص من روايات كتاب تاريخ الموحدين أولاد عبد المؤمن بن علي الضائع**، جمع وتحقيق: أكرم حسين غضبان، مجلة آداب البصرة، العدد (71) 2014م
- (26) ابن القطان ، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (ت 670هـ): **نظم وترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تحقيق محمود مكّي، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990م .
- (27) القلقشندي، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1340هـ / 1922م)
- (28) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، د.ت)
- (29) ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت 261هـ) ، **سنن ابن ماجه** ، بيروت ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت .
- (30) محمد بن تقي الدين الأيوبي صاحب حماة (ت 617هـ): **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، 1401هـ.
- (31) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس**، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، بيروت ، المكتبة العصرية، 1426هـ / 2006م .
- (32) مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ) : **صحيح مسلم** ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت .
- (33) المقدسي ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت 507هـ) : **البدء والتاريخ** ، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت .
- (34) المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ، دار صادر، 1388هـ / 1968م .
- (35) المقريزي، أحمد بن علي (ت 845هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: مصطفى زيادة، القاهرة ، مطبعة دار الكتب، 1934م .
- (36) مؤلف مجهول، **رسائل موحدية (مجموعة جديدة)**، تحقيق: أحمد عزاوي، القنيطرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1416هـ / 1995م.
- (37) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ / 1979م.
- (38) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ): **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، د.ت .

- (39) الناصري السلاوي، أحمد بن خالد (1314هـ): **الاستقصا في خبر دول المغرب الأقصى**، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1418هـ / 1997م .
- (40) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت 213هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، حلب، مطبعة البابي الحلبي، 1375هـ / 1955م .
- (41) ابن واصل، أبو عبد الله محمد بن سالم التميمي (ت 697هـ): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرون، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية والمطبعة الأميرية، 1377هـ / 1957م .
- (42) الواقدي، أبو عبد الله بن عمر (ت 207هـ): **فتوح الشام**، عمان، مكتبة المحتسب، د.ت
- (43) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ): **معجم البلدان**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1416هـ / 1996م .
- (44) اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب (ت 284هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت، د.م، 1980م
- ثانياً : الدراسات الحديثة :**
- (45) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1420هـ / 2000م .
- (46) رغد علي الزبون، **بيت المقدس في أدب الرحلات المغربية رحلة البلوي أنموذجاً**، مجلة العالمية الإسلامية للدراسات الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، مج 27
- (47) رمضان إسحاق الزيان، **روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، غزة، مج 14، العدد الثاني يونيو (2006م) .
- (48) زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م .
- (49) خليل عثمان، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (1187-1516م)**، د.م، د.ن، د.ت،
- (50) الحاج غيدي ومراد عريبي، **دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحد**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدكتور بحي فارس بالمدية، الجزائر، 1437-1436هـ / 2016-2015م .
- (51) عادل يحيى عبد المنعم، **خصائص الكتابة التاريخية المشاركة عند اثنين من مؤرخي البلاد الموحد** ابن صاحب الصلاة المتوفي أواخر المائة 6هـ / 12 وابن القطان المتوفي منتصف ق 7هـ / 13م «، مجلة المؤرخ العربي، العدد الأول، المجلد الأول (2020م)

- (52) عبد المجيد جلوان، هذه مراکش، القاهرة، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، 1949م.
- (53) عبد المجيد الفران، صلات المغرب والأندلس بفلسطين في العصر العباسي (132-492هـ / 750-1099)، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، -العدد 36، القاهرة، 2017م
- (54) علي جمعة محمد، المكايل والموازين الشرعية، القاهرة، القدس للنشر والإعلان، 1421هـ / 2001م
- (55) صفوان خلف التل، آثار وتاريخ الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي (-564 / 648هـ / 1165م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، الجامعة الأردنية، نيسان 2002م.
- (56) فردوس أحمد بت العمري، «الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي شاعرًا»، مجلة أقلام الهند مجلة فصلية إلكترونية محكمة، العدد الثالث، (أكتوبر - ديسمبر 2016م)
- (57) فهمي توفيق مقبل، إثبات حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين تاريخياً ودينياً ينفي ادعاء اليهود حقهم فيها، الإسكندرية، المكتبة المصرية، 1422هـ / 2001م.
- (58) محمد رضوان الداية، من الأندلس إلى بيت المقدس الأندلسيون في فلسطين و في رحاب المسجد الأقصى، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م.
- (59) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، القاهرة، مكتبة الخانجي 1386هـ / 1966م.
- (60) محمد يوسف عمر عابد، بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة (-726 / 750هـ / 1326-1349م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، 1406هـ / 1996م.
- (61) منجد مصطفى بهجت، ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي، الرياض: دار اليمامة، 1420هـ / 2000م.
- (62) نوال فرحان محمد الخالدي، منهج ابن الخطيب التاريخي في كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة الرياض: جامعة الملك سعود، 1429هـ / 2008م.
- ثالثاً: المراجع الأجنبية :**
- (63) Setton, k.M, A Histiry of the Crusade s ,vol ,I, America, 1458
- (64) Dogler, (Franz) ed ,Regesten, 3 vols ,Munich, Berlin 192432- ,
- (65) Brand, C.M, the Byzatine and Saladin ,vol 37,
- (66) Marshal Baldwin ,the decline and fall of Jerusalem, in setton, vol, I,